الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

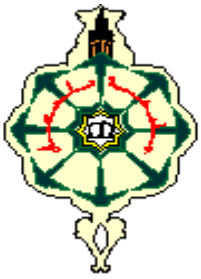

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
شعبة الثقافة الشعبية تخصص الفنون الشعبية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

الموسومة:

تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان

* دراسة فنية أثرية *

من إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:
* بريشي درويش * معروف بلحاج

أعضاء لجنة المناقشة

* د. الغوثي بسنوسي	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا
* أستاذ د. معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
* د. فايزة مهتاري	أستاذة محاضرة (أ)	عضوا
* د. بلحاج طرشاوي	أستاذ محاضر (أ)	عضوا

السنة الجامعية: 2011 / 2012

إهـــــــداء

إلى من كان لهما الفضل عليّ في تربيتي ورعايتي بحنان وإخلاص والديّ الكريمين أطال الله في عمرهما، إلى كلّ إخوتي وأختي كل واحد باسمه الكريم، إلى الأصدقاء والأحباب، إلى أساتذتي الكرام أنوار الدجى في عالم الجهل، إلى روح علماء وأولياء هذه المدينة العتيقة " **تلمســـان**" التـــي باركوها بميلادهم أو نزولهم فيها فكانت منارة للعلم وقبلة للعلماء، إلى كلّ طالب علم حاول أن يقتفي أثرهم، أهدي هذا العمل المتواضع الذي أحسبه أنّه لبنة من لبنات البحث العلمي في استكشاف مدينة الفن والتاريخ تلمسان وعناصرها الحضارية..

..والله الموفق لما فيه الخير..

شـــكـــر وتقديـــــر

من لم يشكر النّاس لم يشكر الله، لذلك أتقدم بداية بالشكر الجزيل والتقدير الممنون إلى أستاذي الدكتور: معروف بلحاج الذي لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته، وإلى أستاذي: نقادي سيدي محمد، الذي شجّعني وأنا في بداية مشواري وأرشدني إلى أحياء ودروب مدينة تلمسان، وإلى لجنة المناقشة الموقرة والتي سوف تفيدني ببيان نقائص هذا العمل وتوجيهاتها، وإلى كلّ أستاذ طلبت نصحه وتوجيهه فلم يبخل عليّ، وإلى أخي فوزي وصديقي أبوبكر اللذين ساعداني في أخذ القياسات والصور في الدراسة الميدانية، وإلى القائمين على مديرية الثقافة بولاية تلمسان، وإلى كلّ أصحاب المساكن التي درستها والذين استقبلوني استقبال الكرام.

فشكرا لكلّ هؤلاء ..

مقدمة

مقدمـــــــــة

إنّ دراسة المسكن التقليدي كعنصر من عناصر العمارة الإسلامية يمثل إرثا تاريخيا للمنطقة التراثية، والشواهد العمرانية تعكس مسيرة المدينة عبر تاريخها الحضاري، وتعبر عن حركة التطور والعمران فيها.

ولقد تعرضت المناطق ذات القيمة التراثية في كثير من البلدان العربية لتغيرات عمرانية واجتماعية أسهمت في تدهور نسيجها الحضاري، وكذلك بسبب الإهمال والعوامل الطبيعية وسوء الاستخدام، وزيادة عدد السكان، هذا إلى جانب فقدان الوعي الحضاري بأهمية تلك المناطق والتي تعتبر من الثروات الحضارية الوطنية بالإضافة إلى كونها عنصر جذب سياحي ومورد من الموارد الاقتصادية.

ومع زيادة الوعي الحضاري لدى الشعوب ظهرت أهمية الموروثات العمرانية، ومن ثمّ اتجهت كثير من الدول إلى الاهتمام والحفاظ على المباني والمناطق التاريخية من خلال مشروعات مختلفة، وإظهار المخزون التراثي بصورة لائقة وتوظيف المباني التراثية واستثمارها اقتصاديا من خلال المشاريع السياحية، واعتمادها كمصدر من مصادر التأريخ للمنطقة التراثية.

فالوحدة السكنية في المفهوم الإسلامي لا تقتصر على جانب توفير الاحتياجات الوظيفية الاجتماعية للأسرة بل توفر الراحة السكنية لأصحابها وبذلك يتداخل الجانب التشكيلي والجمالي لاستكمال المضمون الإسلامي من واقع القيم التراثية والثقافية للمكان، وهذا ما دفع المعماري المسلم إلى الاهتمام بتصميم المداخل والفراغات في المسكن بما يتوافق وقيّم المجتمع وتقاليده والحفاظ على حقوق الجيران.

أمـــا سبب اختياري للمـــوضوع فهو راجع لأسباب شخصية وأخـــــرى

موضوعية، فأمّا الشخصية فلأنّ تخصصي في الجامعة كان قسم التاريخ الإسلامي أين اطلعت من خلال دراستي على بعض مظاهر الحضارة الإسلامية ومنها العمارة، وكذلك الخرجات الميدانية مع قسم الآثار بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان عندما كنت طالبا في السنة الأولى والثانية، ومشاركتي في بعض الورشات الجامعية (CIPAT) المهتمة بالحفاظ على التراث المادي لمدينة تلمسان أين لاحظت المسكن التقليدي في العصر الوسيط عن قرب بكلّ عناصره المشكلة له، وأنّه يهتم براحة ساكنه من الجانب المادي والنفسي، ويوفر له الخصوصية التي ينشدها، وروعي في تصميمه معالجات الإضاءة والصوت والحرارة، وكذلك اهتم بالروابط الأسرية داخل البيت، وأضفت عليه عقود مداخله وأبوابه وزخارف بلاطاته وجدرانه جمالا وبهاء.

أمّا الجانب الموضوعي فلأهمية الموضوع بحيث يعتبر الوقوف على المسكن وبيان عناصره في مدينة تلمسان وسيلة للتأريخ لهذه المدينة العتيقة والتي مرّت عليها حضارات متعاقبة تركت بصماتها سواء على مستوى العمارة الدينية أو المدنية أو العسكرية، بالإضافة إلى نقص المراجع التي خصّت بالدراسة المسكن في مدينة تلمسان في العصر الوسيط.

أمّا إشكالية الموضوع فتتمثل فيما يلي:

*** هل الدافع في تصميم عمارة المسكن التقليدي في العصر الوسيط كان فنّيا وجماليا أم كان اجتماعيا ؟**

وقد اتبعت المنهج التاريخي في بداية دراستي ثمّ اعتمدت على المنهج الوصفي في وصف السكنات التي اخترتها من ثلاث مواقع مختلفة (قرية العباد بأعالي مدينة تلمسان، درب الرحيبة ثمّ درب مسوفة)، ثمّ المنهج التحليلي في نهاية الدراسة لتحليل ومقارنة النتائج التي توصلت إليها.

أمّا من جانب الصعوبات التي واجهتني فقلّة المراجع التي تتكلم عن المسكن التقليدي بمدينة تلمسان في العصر الوسيط، وعدم القدرة على الزيارة المتكررة للمساكن التي اخترتها للدراسة.

أمّا تقسيم البحث: فقد قسمته إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق. وقد تناولت في الفصل التمهيدي المسكن ودوره في حياة المجتمعات، أمّا في الفصل الأول فقد تعرضت إلى المسكن في العمارة الإسلامية وأهم مميزاته وأعطيت بعض الأمثلة عن المسكن في المشرق الإسلامي وفي الفصل الثاني أعطيت أمثلة أخرى عن المسكن في المغرب الإسلامي، أمّا في الفصل الثالث فتناولت الدراسة الوصفية للنماذج المختارة وبدأتها بتحديد الإطار الجغرافي والتاريخي للنماذج المختارة وهو مدينة تلمسان ثم دراسة وصفية للنماذج الثلاثة: دار " لاغا عبد الحميد " بحيّ الرحيبة ثم دار دار " شرّاك رشيدة " بدرب مسوفة ثم دار" بن عمر محبوبي " بحيّ العباد، وفي نهاية الفصل الثالث خلصت إلى تحليل ومقارنة لخصائص المسكن التقليدي بمدينة تلمسان، وختمت الموضوع بخاتمة.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي: المسكن ودوره في حياة المجتمعات

1. مفهوم المسكن:

اشتقت كلمة المسكن من فعل (سكن) وهو السكون والهدوء والسكينة هي الطمأنينة.

والسكن كما ورد عند الراغب الأصفهاني هو السكون أي ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان نحو سكن فلان مكان كذا أي استوطنه[1].

وسكن من السكون ضد الحركة، سكن الشيء سكونا إذا ذهبت حركته، وكل ما هدأ فقد سكن. والسَّكَنُ والـــمَسْكَنُ هو المترل والبيت، وأهل الحجاز يقولون مَسْكن بالفتح. والسَّكْنُ أهل الدار، والسُكْنَى: أن يسكن الرجل موضعا بلا كراء[2].

وقد جاءت كلمة سكن بمعنى السكون والطمأنينة والاستئناس كغاية في ذاتها كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[3].

وقد استعمل القرآن الكريم للدلالة على البيت الذي يسكنه الإنسان لفظ المسكن في قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[4].

أمّا لفظ المساكن فقد استعملت للدلالة على منازل الدنيا كقوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ، إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ﴾[5] ، وفي بعض الأحيان للدلالة على منازل الجنة في الآخرة كقوله تعالى في سورة الصّف: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، ذَلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ ﴾[6]، وذكرت مرة للدّلالة على جحور النمل كقوله تعالى في سورة النمل: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[7].

---

(1) - الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات القرآن ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي ، 1972 ، بيروت ، السكن ، ص 242.

(2) – ابن منظور الأفريقي المصري ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مركرم ، لسان العرب ، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر،ج 7،2000 ، سكن، ص 220.

(3) - سورة الأعراف ، الآية : 189.

(4) - سورة سبأ ، الآية : 15.

(5) - سورة القصص ، الآية : 58.

(6) - سورة الصف ، الآية : 12.

(7) - سورة النمل ، الآية : 18.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ البيت والبيوت للدلالة كذلك على المترل الذي يسكنه الإنسان أو الكعبة بيت الله الحرام بمكة المكرمة أو مساكن بعض الحشرات كالنحل والعنكبوت. وكذلك استعمل لفظ الديار للدلالة على المنازل أمّا لفظ الدار فقد استعمل غالبا للدلالة على الدار الآخرة.

وقد جاءت لفظ سكن في صور مادية مجازية كناية ودلالة على فعلها وهو الاحتواء والإغشاء والشمل للجسد والنفس أي للمادة والروح[1].

وانطلاقا من هذا المفهوم تتجلى إحدى وظائف السكن في التصور الإسلامي وهي تحقيق الطمأنينة والقرار النفسي، وبذلك فالمعماري المسلم عند إنشائه للسكن وتنظيم الفراغات فيه راعى كلّ الشروط المادية كتوفير النور والهواء والفضاء والذوق الجمالي والراحة ولساكنه حتّى يبلغ المسكن غايته.

2. الأنماط الرئيسة لأشكال المسكن:

أنواع المساكن التي عرفها الإنسان منذ القدم من الصعب ترتيبها تصاعديا، لكثرة التداخل والفروق الحضارية ولاختلاف البيئة الجغرافية، ولكن هناك اتفاقا عاما على أنّ الإنسان قد استخدم في البداية أكثر أشكال البيئة المحيطة به اقترابا من تحقيق أغراضه السكنية.

لقد ظلت ولفترة طويلة تهيمن على مجال البحث الآثاري فرضية كون إنسان العصر الحجري القديم عاش متجولا ومتنقلا، مقيما سكنه المؤقت في الكهوف أو على الهواء الطلق دون أن يعرف الاستقرار أو السكن الدائم، إلاّ أنّه وفي الفترة الممتدة من عام 1927م وحتى 1932م أجرى العلماء السوفيات أعمال التنقيب الآثاري الواسعة في المواقع التي ترجع للعصر الحجري القديم واستطاعوا وخاصة الباحثان ايفيمنكو (**EFEMENKO**) وزامياتنين (**ZAMIATNIN**) من إثبات حقيقة وجود مساكن شتوية دائمة لدى إنسان العصر الحجري القديم الأعلى[2].

هذه الأشكال السكنية أخذت صورا متعددة من التجاويف الصخرية الواسعة شبه المسقوفة بواسطة بروز صخري علوي إلى الكهوف.

---

(1) - إبراهيم بن يوسف ، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي ، مطبعة أبو داود ، الجزائر ، 1992 ، ص 160.

(2) - إسماعيل عبد الرحمن النور ، مجتمعات الاشتراكية الطبيعية ، أورينتال للنشر والطباعة والتوزيع ، مدريد ، ط1 ، 1983 ، ص 150.

ومنذ العصر الحجري القديم الأعلى نجد مساكن مبنية من الأخشاب والطين، والبعض استغلّ انخفاض الأرض في صورة حفر طبيعية لبني فوقها مسكن، وبذلك ظهرت بيوت الحفر. ومنذ العصر الحجري الحديث ظهرت البيوت المبنية من الطين المقوى والطوب والحجارة[1].

و لم تختلف المساكن في شكلها وارتباطها بنوع النظام الاقتصادي السائد فقط بل اختلفت أيضا في مادة بنائها من حيث الارتباط بالخامات المتاحة في البيئة الطبيعية وإمكانات الحضارة البشرية، ولذلك يمكن تقسيم المساكن عامة إلى قسمين:

- **القسم الأول**: المسكن المصنوع من الخامات الطبيعية وهي المساكن المصنوعة من أفرع الشجر والأخشاب والحجارة والطين.
- **القسم الثاني**: المسكن المصنوع من خامات اصطناعية وهي المساكن المصنوعة من اللبن والطوب والإسمنت.

ولا يعني استخدام الخامات الطبيعية أو الاصطناعية أنّ هناك فروقا من حيث التخلف والتقدم من الناحيتين الجمالية والنفعية، بل توجد أحيانا الكثير من المساكن المصنوعة من الخامات الطبيعية عند البدائيين جميلة التصميم وفنية التنفيذ، وخاصة إذا كانت المادة الخام طيعة التشكيل مثل الخشب المحفور والمطعم بالمعادن مثل مساكن (الامريند) في الساحل الشمالي الغربي أمريكا الشمالية وأحسن هذه المساكن هي التي توجد في أندونيسيا وسومطرة خاصة، ولكن الميزة الرئيسة للخامات المصنعة هو إمكان تعدد الطوابق وخاصة بالنسبة للطوب والإسمنت[2].

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته عندما تكلم عن صناعة البناء: ((هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معروفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكنّ والمأوى للأبدان في المدن، وذلك أنّ الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابدّ أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحرّ والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها، والبشر مختلف في هذه الجبلّة الفكرية... وأمّا البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم عن إدراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدّة من غير علاج))[3].

---

(1) - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1974 ، ص383.

(2) - نفس المرجع ، ص 384 – 385.

(3) - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج(6) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، 1971 ، ص 450 – 451.

وباختلاف الأزمنة والبيئات الطبيعية والحضارات يمكن تصنيف الأنماط الرئيسة لأشكال المساكن إلى ما يلي:

1.2. الكهوف: أقدم أشكال المسكن المعروفة هو الكهف، ولو أنّ ذلك لا يمنع أن تكون هناك أنماط سكنية سابقة من مواد هالكة لم تصل إلينا[1].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى لجوء الإنسان إلى الكهوف للاحتماء بها والسكن فيها فقال تعالى في سورة الكهف: ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا** ﴾[2].

ولكن ممّا كان يعانيه الإنسان من الكهوف:

أ – هو أنّ عدد الكهوف الملائمة للسكن قليلة وعدد النّاس دائما في تزايد وأكثر ممّا تقدمه الطبيعة من كهوف صالحة.

ب – قد تكون الكهوف الملائمة للسكن بعيدة عن مصادر مياه الشرب أو مصادر الصيد.

ت – إنّ معظم الكهوف توجد بها رطوبة تؤدي إلى حدوث التعفن أحيانا، وتصيب الإنسان بالأمراض.

ورغم ذلك فإنّ الإنسان القديم قد سكن الكهوف كملجأ جيّد ضد البرودة الشديدة، فدراسة المخلفات العظمية للإنسان وحيوانات الصيد ومخلفاته الحجرية، ونقوشه ورسوماته على جدران الكهوف كلّها أعطتنا معلومات قيّمة عن نوع الإنسان وشكل اقتصاده وتقدمه التكنولوجي في صناعة الأدوات والأسلحة وأنواع الحيوانات وطرق الصيد.

2.2. مصدّات الرّياح: هذا النوع هو أبسط أشكال السكن المصنوعة التي عرفت عند المجتمعات البدائية المعاصرة، وهو عبارة عن إطار من الأغصان يغطى بلحاء الأشجار وأوراقها ويوضع في صورة مائلة بالاستناد إلى واجهة حائط صخري وأحيانا يصنع من الجلد، ويحمي هذا النوع من المساكن النّاس من الأمطار أو الرياح كما يمكن تفكيكها وحملها ونقلها، ومازال هذا النوع شائعا في أفريقيا الجنوبية وبعض قبائل أستراليا.

3.2. الأكواخ: استخدم معظم البدائيين أشكالا مختلفة من الأكواخ، وأبسط أشكال الكوخ يتخذ صورة قبة من الأغصان والأوراق والأعشاب مقامة فوق إطار من الخشب، وهناك نوع آخر

---

[1] - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، مرجع سابق ، ص389.

[2] - سورة الكهف ، الآية : 16.

وهو ذلك الكوخ الخشبي المكون من أعمدة خشبية وينتهي بسقف قمعي الشكل، وقد يضاف إليه الطين في الجزء الأعلى، وغالبية الأكواخ قمعية الشكل لتجنب تراكم مياه الأمطار، وهناك أكواخ تصنع كلها من الخشب ولحاء الشجر كتلك الأكواخ الشائعة في جنوب شرق آسيا وهي ذات سطوح منحدرة.

وفي بعض المناطق وخاصة عند جماعات الصيد في النطاق الاستوائي ترفع المساكن كلّها على أعمدة خشبية تدق فوق مياه مستنقع، وذلك تجنبا لرطوبة الأرض المستمرة، ولإعطاء أمان أكثر ضد الحيوان المفترس.

وتختلف خامة الأكواخ حسب المصدر الرئيسي الموجود في الإقليم، وفي الغالب يضاف الطين على الحوائط، وأحيانا تقام جدران الأكواخ من الحجارة ويقام فوقها السطح المنحدر[1].

4.2. **الخيام:** وهذه مرتبطة بالرعاة المتنقلين، وتصنع من شعر أو جلود الحيوان الرئيسي الذي ترعاه المجموعة، ففي شبه الجزيرة العربية وأفريقيا نجدها تصنع من وبر الإبل وصوف الغنم وشعر الماعز، ويقمن النساء بنسجها على منسج خاص بها، ثمّ ترفع من وسطها بعمود خشبي يضمن لها السطح المنحدر وإمكانية الحركة بداخلها، ثمّ تشدّ أطرافها إلى الأرض حتى لا تقتلعها الرياح.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النمط من المساكن فقال تعالى في سورة النحل: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ** ﴾[2]. وبيّن أنّها كانت سهلة الحمل للبدو والرحل الذين يتنقلون بحثا عن العشب والماء.

ثم نجد خيام المغول والتركمان الضخمة المصنوعة من الجلود والمسماة (يورت yurt)، وهي أضخم مسكن متنقل من حيث المساحة والارتفاع والزينة المضافة إليها.

وتختلف اليورت في حجمها فأصغرها يبلغ قطرها حوالي 3 م، أمّا أكبرها فقد يصل قطرها إلى 6 أو 8 أمتار، ويتكون الجزء الأسفل من اليورت من ألواح شبكية الشكل من الخشب يمكن طيّها للنقل، وفي الأعلى قمة دائرة متوسطة تعمل كفتحة لتسريب الدخان المتصاعد من الموقد الداخلي.

وهناك الخيمة الجلدية في أمريكا الشمالية وتسمى (تيبي Tipi) وهي أصغر من نظيرتها.

---

(1) - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، مرجع سابق ، ص 391.

(2) - سورة النحل ، الآية : 80.

5.2. **بيوت الحفر**: وهذه المساكن تستغل حفرا طبيعية في الأرض أو تحفر الأرض إلى العمق المطلوب. وفي خلال العصر الحجري الأوسط في فرنسا كانت مساكن الحفر هذه تبنى في حفر ضحلة وتغطى ببناء مقبب الشكل، وهذا النوع من المساكن ما زال شائعا في النطاق الشمالي من آسيا وأمريكا، ففي الساحل الشمالي الغربي لأمريكا تكون هذه المساكن غاطسة في حفر إلى عمق حوالي 2.5 م ثمّ تغطى الحفرة بجذوع أخشاب قوية، وتغطى بعد ذلك بطبقة من الطين، ويتخذ الشكل في مجموعه الشكل القمعي أو السطوح المنحدرة، ويترك وسط السطح مفتوحا بحيث يخدم غرضين:

– التهوية وفتحة الدخان للموقد الداخلي.

– باب للمسكن.

ولذلك يوجد سلم خشبي مثبت إلى هذه الفتحة. والمسكن بذلك عبارة عن حجرة واحدة مستديرة أو بيضاوية غالبا ويبلغ قطرها حوالي 5.5 م، ولاشك في أنّ هذا النمط من المساكن هو استمرار لنوع المساكن في العصر الحجري.

6.2. **المساكن المشتركة**: وهو الذي يسمى البيت الطويل، وبدايات هذا النوع من المسكن قديمة ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى، وهو موجود حاليا في غابات الأمازون وبعض جزر المحيط الهادي[1].

وفي الحضارة المصرية القديمة كانت المساكن الشعبية المبنية في حيّ خاص يفصله جدار عن حيّ الأغنياء، وتقتصر على ثلاث غرف أو أربع تؤلف جزءا من كلّ هندسي رتيب هو أشبه برقعة الشطرنج.

ثمّ تطورت المساكن حتى أصبح معظمها مبنية باللبن أو الطوب المحروق بالإضافة إلى الإسمنت، ولكن في المناطق الجبلية التي تتوفر فيها الحجارة يبنى البيت من الحجر[2].

7.2. **مساكن الطوب**: تشيد إمّا من اللبن أو الطوب المحروق، وتبنى فوق سطح الأرض، وهذا النوع من المساكن شائع ويمكن أن يرتفع إلى عدّة طوابق، والواجهة الخارجية عالية وليست بها فتحات للمساكن، ممّا يعطيها صورة القلاع، بينما تطلّ المساكن على ميدان داخلي واسع،

---

[1] - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، مرجع سابق ، ص 393.

[2] - أندريه إيمار ، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة) ، ترجمة فريد م وآخرون ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ص 113.

وأبواب هذه المساكن أيضا من أعلى مثل بيوت الحفر، وهذا المجمع الكبير المتلاصق من المساكن والموجود في بعض مناطق أمريكا الشمالية يسمى (بويبلو) ثمّ أطلق على السكان هذا الاسم. إلاّ أنّه بفعل الاحتكاك الحضاري تم الاتجاه إلى بناء مساكن منعزلة وتفكيك البويبلو[1].

ولقد عثر في أريحا في الطبقة العائدة للعصر الحجري الحديث على مساكن مستطيلة الشكل ولها مستند على دعائم خشبية وكانت الجدران مطلية من الداخل بطبقة جصية اعتبارا من الألف الثالث، ولقد عثر كذلك على نماذج سكنية ترينا تطور بيت السكن من شكل الكوخ حتى الشكل المستدير ومارا بالشكل المربع. واستعملوا في البدء في الأكواخ التراب المدكوك المصلب، أمّا البيوت المستطيلة الشكل فلقد بنوها خاصة بحجارة غير منحوتة والآجر النيئ ومن ثمّ المشوي[2].

أمّا في الحيرة فقد أخذ العرب أصول فن العمارة عن طريق الفرس بحكم مجاورتهم وتبعيتهم لهم، ولكنّهم طوّروا في نظام العمارة عندهم تطويرا أبعده عن أصوله الأولى.

واشتهرت الحيرة بقصورها التي ضربت المثال في عظمته مثل قصري: (الخورنق) والذي تعود تسميته إلى الفارسية (خورن كاه) بمعنى موضع الأكل والشراب، أمّا قصر السدير بمعنى القبة التي تتداخل فيها ثلاث قباب[3].

8.2. المساكن المنحوتة في الجبال: فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النمط من المساكن في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا، فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[4]. وقال كذلك في سورة الحجر: ﴿ **وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ** ﴾[5].

والنحت في كلام العرب هو البري والنجر، وهؤلاء هم قوم النبيّ صالح عليه السلام الذين كانوا ينحتون بيوتا لأنفسهم لشدّة قوتهم بوادي الحجر باليمن. وقال بعض المفسرين أنّهم اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإنّ الأسقف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم.

---

(1) - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، مرجع سابق ، ص 394.
(2) - محمد محفل ، تاريخ العمارة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص 141.
(3) - عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981 ، ص 301 – 302.
(4) - سورة الأعراف ، الآية : 73.
(5) - سورة الحجر ، الآية : 82.

3. دور المسكن في حياة المجتمعات:

لم تكن الوظيفة الأساسية للمسكن هي قطعا إعداد الغذاء، إذ أنّ الإنسان قد حصل على الغذاء قديما ويمكن أن يحصل عليه حاليا خارج المسكن، و لم تكن الوظيفة الأولى أساسا هي الراحة الجسدية، لأنّ ذلك يمكن أن يتم خارج المسكن أيضا، إنّما يبدو أنّ المسكن كان في أصوله الأولى الأداة الحضارية التي تغلب بها الإنسان على الظروف المناخية، وبذلك نجد أنماطا مختلفة من المساكن تقي الإنسان شر الظروف المناخية المختلفة من برودة ومطر وإشعاع شمسي ومن ثّم تنتشر المساكن بصورها المختلفة في كلّ الحضارات، وإلى جانب الحماية من المناخ، لاشك أيضا في أنّ الحماية ضد مفاجآت الأعداء والحيوانات الضارية كانت جزءا أساسيا من وظيفة المسكن، " ولهذا فإنّه إذا كانت الحوائط الصخرية كافية لبعض الحماية من الظروف المناخية، إلاّ أنّها لم تكن كافية تماما للحماية ضد المعتدين "[1].

وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الوظيفة " هذه الصناعة أو صنائع العمران الحضري هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكنّ والمأوى للأبدان في المدن وذلك أنّ الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحرّ والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها "[2].

ولهذا تطور شكل المسكن من اتخاذ الكهوف مأوى للتجمعات السكانية إلى بناء مأوى يكفي متطلبات الأمان ضد الطبيعة والأعداء معا بمواد مختلفة حسب نوع الحضارة ونوع الخامة السائدة في المنطقة أو الإقليم، إلى تلبية الاحتياجات البيولوجية للإنسان من حيث الراحة والاسترخاء، ومن ثّم فإنّ التطور في نوع المسكن ومخططه تطور بطيء جدا، فهناك حجرات للنوم وحجرات للاجتماع، والشيء الجديد الذي أضيف هو المطبخ والحمام كغرف مستقلة، بعدما كان المطبخ في العصور الحجرية وعند كثير من الجماعات البدائية موقدا جماعيا، وفي العصور الوسطى وفي المدن القديمة كان المطبخ جزءا من حجرة الاجتماع في المسكن، وكان مجرد موقد يعطي الدفء ويطهى عليه الطعام.

---

[1] - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، مرجع سابق ، ص 378.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج(6) ، مرجع سابق ، ص 450.

وقد روعي منذ القدم في تصميم المباني وظائفها الاقتصادية والاجتماعية، لذلك كان المسكن عند الجماعات التي تمارس الزارعة البدائية والرعي هو عبارة عن أكواخ مبنية من الطين أو خيام حتى يسهل نقلها لأنّ هذه الجماعات غير مستقرة.

أمّا المسكن الريفي فكان عبارة عن مجمع يحتل القسم الأكبر منه مخازن المحصول، ومأوى الحيوان، ومخزن الأدوات والآلات المستخدمة في الزراعة، أمّا القسم الأصغر فهو عبارة عن مأوى للأسرة.

بينما المسكن في المدينة لا يضم بين جدرانه سوى مأوى الأسرة، فهناك انفصال حقيقي بين المسكن ومكان العمل على العكس في المسكن الريفي .

وتختلف المساكن كذلك تبعا لاختلاف شكل التجمع الأولي، ففي التنظيم القائم على الأسر النووية (الزوجان وأولادهما) يصبح المسكن محدود المساحة، وهو أصلح أشكال التنظيم الاجتماعي، أمّا عندما تكون الأسرة الممتدة (المكونة من عدة أسر) وهي أساس التجميع الأولي، فالسمة الأساسية للمسكن هي الاتساع[1].

[1] - محمد رياض ، دراسة في النوع والحضارة ، مرجع سابق ، ص 385.

الفصل الأول

المسكن في العمارة الإسلامية:

1. العمارة في الحضارة الإسلامية:

1.1. مفهوم العمارة:

من دراسة عصور ما قبل التاريخ نجد أنّ العمارة بدأت عندما بدأ الإنسان بتنظيم الفراغ وملاءمته مع احتياجاته[1]. وقد بدأ هذا التنظيم من الكهوف والمغاور إلى عصر الأكواخ، وصولا إلى المساكن والقصور على اختلاف المناطق والحضارات المختلفة.

ومن ثمّ أعطيت للعمارة عدة تعريفات نذكر منها رأي (لوكور بوزييه)[2] في العمارة: "لعبا متقنا رائعا بالكتل منظورة تحت النور "، أمّا بالنسبة لرايت فهي: " الروح التي لا يمكن أن تكون أكواما من الحجارة، بل تلك الروح الخلاّقة التي تتطور من عصر لعصر ومن جيل لجيل طبقا لطبيعة الإنسان وظروفه ".

ولقد عرف الدكتور (عرفان سامي)[3] العمارة أنّها: " الفن العلمي لإقامة أبنية تتوفر فيها عناصر المنفعة والمتانة والجمال والاقتصاد وتفي حاجات النّاس المادية والنفسية والروحية في حدود أوسع الإمكانيات وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه، وهي طريقة في العمل وبتفكير ومنطق سليم، وتعتمد على علم صحيح وفن رفيع ويقوم بها معماريون على صلة بالواقع وبالحياة وعلى وعي وإدراك بأحوال بيئتهم وظروف العمل في عصرهم ".

فالعمارة: هي علم وفن تصميم المباني، وبتعريف أشمل هي كلّ ما له علاقة بالبناء كالتخطيط العمراني والإقليمي إلى المستويات الدقيقة كتصميم الأثاث[4].

2.1. العمارة الإسلامية:

تعتبر العمارة الإسلامية والفنون التشكيلية من موضوعات الحضارة الإسلامية الهامّة، من حيث أنّها تمثل الآثار الباقية التي تعبّر بشكل ملموس عن الصورة المادية لتلك الحضارة في كثير من

---

(1) - رئيف مهنا وويس بحر، نظريات العمارة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1992 ، ص 19.
(2) - معمار فرنسي وسويسري الأصل.
(3) - مهندس معماري مصري.
(4) - رئيف مهنا وويس بحر، نظريات العمارة ، مرجع سابق ، ص 108 – 109.

مجالاتها[1]. ولذلك دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإجراء مسح شامل للآثار العربية وجمع ما صدر حولها من بحوث لتصنيفها وفهرستها[2].

إنّ العمارة الإسلامية كانت تنسجم تماما مع القيّم الإسلامية، واستغلّت كافة المواد الإنشائية من خشب وزجاج ورخام وآجر ومعادن وجبس وطين وغير ذلك، ووظفتها لصالح البناء بصورة فريدة وجميلة، ورغم أنّ العرب اقتبسوا الكثير من العناصر المعمارية لحضارات أخرى مجاورة وخاصة اليونانية والبيزنطية، وأساليب العمارة القديمة لحضارة وادي الرافدين، فدرسوها دراسة علمية وطوّروها إلى أن بلوروا مدرسة معمارية إسلامية جديدة اشتركت فيها مختلف البيئات المحلية في الدولة الإسلامية بالرغم من اختلافاتها المكانية والموقعية، وكان لهذه المدرسة من الخصوصية الإسلامية في العمارة. لأنّ العمارة بمفهومها البيئي والحضاري الأوسع من أكثر النشاطات الإنسانية صلة بتجسيد الواقع الحضاري للأمّة، ولأنّها ذات علاقة وطيدة وجدلية في تحديد النمط الحياتي، والسلوك الاجتماعي العام من خلال تأثيراتها المباشرة على البيئة البشرية، وعكسها للمفاهيم والرموز المادية والمعنوية في أيّة فترة تاريخية[3] ، ولذلك قال المهندس المصري "حسن فتحي" : " المبنى كالنبات يخرج من الأرض التي يقام عليها "[4] .

فقد ظهر نشاط فني كبير في عهد الدولة الأموية في العمارة والتصوير، فقد شيّد الخلفاء والأمراء الأمويون القصور الفخمة في المدن وبادية الشام والأندلس، واستخدموا الصور الجدارية في تزيين حيطان قصورهم وحماماتهم التي أنشئت في بادية الشام والأردن وسوريا، مثل قصير عمره وقصر المشتي وقصر الطوبة وقصر الحرانة وغيرها " فلقد كان هشام بن عبد الملك من أكثر الخلفاء الأمويين اهتماما بالمنشآت المعمارية والفنون على الرغم من بساطة طبعه "[5] ، وتبعهم من الخلفاء والأمراء في العهد العباسي حيث كشفت نتائج التنقيب الأثرية في بغداد وسامراء جانبا مهّما من العمارة العربية الإسلامية إبّان العصر العباسي، وكشفت لنا الخصائص الهامة التي كانت تتميّز بها القصور والدور التي شيّدها العباسيون، كما كشفت لنا استخدام النهج العلمي في تصميمها،

---

(1) - سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، 1986 ، ص 9.

(2) - محمد علي اليوسفي ، العناية بالتراث الحضاري والآثاري ، المجلة العربية للثقافة ، العدد (29) ، سنة 1995 ، ص 84.

(3) - محمد حسين جودي ، العمارة العربية الإسلامية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، ط1 ، 1998 ، ص 27.

(4) - -مصطفى نبيل ، المهندس حسن فتحي (رجل يملك عقله) ، مجلة العربي ، العدد (295) ، يونيو 1983 ، ص 96.

(5) - عفيف بهنسي ، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه ، دار الفكر ، دمشق ، 1983 ، ص 127.

وزيّنت حيطانها الداخلية بالأشكال الآدمية والحيوانية. ومن أهم هذه القصور قصر (المعشوق) في سامراء الذي بناه الخليفة المعتمد بن المتوكل، وقصر (الجوسق) الخاقاني، وهو من أضخم القصور في العالم الإسلامي وقد سمي دار العامة لأنّ المعتصم كان يجلس في الإيوان الكبير للنظر في شؤون عامة النّاس.

أمّا في مجال النحت فلم يلتزم الحكام الأمويون والعباسيون فكرة تحريم النحت التي حرمها الإسلام، فقد أدخلوا التماثيل النحتية في تزيين قصورهم. ومن هذا المنطلق وضع المعماري تماثيل صغيرة وكبيرة حول أحواض تفجرت فيها المياه الجارية، كانت تشاد وسط فناء القصر أو في وسط حماماته.

وقد ظهر في العصر العباسي الطراز الفارسي المغولي في العمارة مثل مسجد ابن طولون بمصر، ثمّ ظهر الفن المعماري الفاطمي مثل الجامع الأزهر وجامع الحاكم بمصر، ثمّ تلاه الطراز السلجوقي مثل مسجد الجمعة بأصفهان، وبعده الفن المعماري المملوكي مثل جامع الظاهر بيبرس وجامع السلطان المؤيد، ثمّ عمارة المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس مثل الجامع الأعظم بتلمسان وجامع اشبيلية، وقد تمكّن الدارسون من معرفة أنماط الزخارف المتميزة لدى كلّ دولة من الدول السائدة في المغرب الإسلامي والأندلس، وهذه الخيرة كان لها طابع خاص يتميّز عن باقي المدن المغربية، بل أنّ تلك المدن قد غرفت من منابع الزخارف الأندلسية فكانت عناصر زخارف مسجد قرطبة ومدينة الزهراء مصدرا أساسيا، اقتبس منهما فنانو الدولة المرابطية، فطبقوها على مختلف آثارهم فهذا مثل منبر الجامع الكبير بالعاصمة الذي صنع سنة 490هـ كما أنّ هناك بعض أوجه التشابه بين زخارف المسجد الكبير بتلمسان والزخارف القرطبية بصفة عامة، فالمراوح الموخزة المشقوقة الفصوص والمائلة بشكلها الطبيعي غير المجردة هي السمة المشتركة بين الفن الزخرفي المرابطي والقرطبي[1]، " وإنّ الزخرفة النباتية لم تكن لتنتشر لولا الحرفيين الذين هاجروا من الأندلس على بلاد المغرب".[2]

وقد ذكر ابن عذارى المراكشي في بناء مدينة الزهراء بقرطبة " وكان الناصر (عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله) قد قسم الجباية على ثلاثة أثلاث: ثلث للجند وثلث للبناء وثلث

---

[1] - محمد الطيب عقاب ، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص 21.

[2] - **A. LEZINE** , « Algérie médiévale » , Les cahiers de Tunisie (revue de sciences humaines) Tome 7 (1957),p.392.

مدّخر..."[1] ، " وكان عصر المرابطين والموحدين في الغرب الإسلامي، أو بعبارة أخرى كان القرن الثاني عشر (6 هـــ) من أخصب عصور الفن الأندلسي وأكثرها تمثلا في الوقت نفسه للطرز الوافدة من شرقي البحر المتوسط"[2] ، ثمّ نجد المنشآت المعمارية للمرينيين مثل المسجد الجامع بتازا وجامع المنصورة بتلمسان، ثمّ عمارة الزيانيين في مدينة تلمسان، وصولا إلى الفن المعماري التركي العثماني مثل جامع المحمدية وجامع السليمانية باسطنبول[3] ، " وتشمل مباني الجزائر الدينية والمدنية التي أنشئت في العصر التركي على عدد ضخم من بلاطات الزليج استخدمت في كسو الحوائط وأجزائها المختلفة في الداخل والخارج"[4].

وقد اختلفت أنواع العمائر حسب وظائفها الحياتية فنجد:

* **العمارة الدينية:** والتي تشمل: **أ–** المساجد وأماكن العبادة . **ب–** المدارس. **ج–** الزوايا .

* **العمارة الجنائزية:** والتي تشمل: **أ–** الأضرحة. **ب–** شواهد القبور.

* **العمارة المدنية:** والتي تمثل: **أ–** القصور. **ب–** المساكن الشعبية. **ج–** المستشفيات (المارستانات) وأماكن الاستطباب. **د–** المراكز التجارية. **هـــ–** الفنادق (الخانات). **و–**الحمامات. **ي–** الأسبلة. وكان يطلق على المستشفيات ودور الدواء والفنادق والمراكز التجارية والأسبلة والحمامات عمارة الخدمات الاجتماعية.

* **العمارة العسكرية:** والتي تشمل: **أ–** الحصون والأسوار. **ب–** الأبراج. **ج–** القلاع. والتي بنيت لكي تدافع الأمة الإسلامية عن مقدّراتها الحضارية ووجودها التاريخي.

2. المسكن في العمارة الإسلامية:

إنّ أساسيات تصميم المسكن في العمارة الإسلامية مرتبط بالعقيدة قبل تشكيله كمراعاة عدم التطاول في البنيان والالتزام بحرمة الجار، وإتباع منهج الوسطية في اقتصاديات البناء من عدم الإسراف أو التقتير في استعمال الزخارف والتجهيزات، مع ثبات الأساسيات التصميمية وقد ظهر هذا جليا في عصر صدر الإسلام وفترة الخلفاء الراشدين لأنّ المسلمين التزموا بتعاليم وتوجيهات

---

[1] - ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان و إ . ليفي بروفسال ، ج (2) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1981 ، ص 231.

[2] - ليوبولدوتوريس بالباس ، الفن المرابطي والموحدي ، ترجمة : سيد غازي ، دار المعارف بمصر ، ط1 ، 1971 ، ص 13.

[3] - سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، مرجع سابق ، ص 17.

[4] - عبد العزيز محمود لعرج، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط1 ، سنة 1990، ص 19.

النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقد ورد عنه: " مَنْ بَنَى فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ".[1] وقوله صلى الله عليه وسلّم كذلك: " لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الخِصَال بَيْتٌ يَسْكُنُهُ وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفُ الخُبْزِ والمَاءِ".[2]

وقد ذكر عبد الرحمن بن خلدون: " فكان الدّين أول الأمر مانعا من المغالاة في البنيان والإسراف فيه في غير المقصد، كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل، فقال: ((افعلوا ولا يزيدنّ أحد على ثلاثة أبيات ولا تطالوا في البنيان وألزموا السنّة تلزمكم الدولة)) [3].

لكن باتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاك المسلمين بغيرهم من الأمم المجاورة أخذوا عنهم بعض فنون عمارة المسكن وطوروها، واستدلوا على تشييد المباني وزخرفتها والبناء الرفيع كالقصور ونحوها بقوله تعالى: ﴿**واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا، فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[4] ، وبقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾.[5] وبما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم: " إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ " ، وقد فسر العلماء أنّ من آثار النعمة البناء الحسن.

وقد أشار عبد الرحمن بن خلدون إلى هذا التطور في تصميم المباني: " فلمّا بَعُدَ العهد بالدّين والتحرج في أمثال هذه المقاصد، وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمّة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم إليها أحوال الدّعة والترف فحينئذ شيّدوا المباني والمصانع".[6]

وقد التزم المعمار المسلم في تصميم المسكن بطرق تشكيلية تتوافق مع مقاصد الشريعة وأحكامها سواء في الشكل أو المضمون وقد ظهر في صورة متكاملة ومتزنة، وقد لوحظ الاهتمام

---

[1] - رواه الدارقطني.
[2] - أخرجه الترمذي.
[3] - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرجع سابق ، ص 396.
[4] - سورة الأعراف ، الآية : 73.
[5] - سورة الأعراف ، الآية : 32.
[6] - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرجع سابق ، ص 397.

بتشكيل الأسطح الداخلية سواء في الواجهات المطلة على الفناء أو في الفراغات الداخلية،واعتماد تصميم المدخل والتقليل من الفتحات على الواجهة الخارجية ليضمن الخصوصية لأفراده، فالمسكن يعتبر وحدة اجتماعية لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقيم فيه، فقيّمها وعاداتها هي التي تحدد الفراغ الداخلي للمسكن.

ومن أهمّ عناصر ومميّزات المسكن في الحضارة الإسلامية:

1.2. **المدخل:** والذي يسمى بالمجاز أو الدهليز هو عبارة عن ممر يكون بوجه عام مستطيل الشكل مستقيما وغالبا ما يكون منكسرا يؤدي إلى الفناء، وتكون قمة المدخل عادة ربع كروية، ومحمولة على مقرنصات أو نصف قبة[1] ، وكان تصميم المدخل بهذا الشكل لحجب معظم الفراغ الداخلي للمسكن عن أعين الأجانب، وبذلك تستر عورة أهل المسكن من أعين المارة في الأحياء والدروب، ومن خلال هذا المدخل المنكسر نلاحظ أنّ التخطيط الداخلي للدار صمم تصميما يساعد على تحقيق الخصوصية لأهل الدار.

2.2. **الفناء (الصحن)**: وهو الفراغ المكشوف المحدد بواسطة حوائط أو مبان، وقد ظهرت هذه الفراغات منذ القدم في عمارة بلاد الرافدين في العصر السومري (حكم الأسرة الثالثة) وفي عمارة مصر القديمة في عصر الدولة القديمة والوسطى، وكان يعرف بالمسقط ذي الفناء،وكذلك في العمارة اليونانية فقد ظهر المسقط ذو الفناء، والمسقط ذو الفناء المحاط بأعمدة. أمّا في عهد الإسلام فقد ظهر لأول مرّة في منزل الرسول صلى الله عليه وسلّم ومسجده بالمدينة المنورة سنة 622 م، ويتراوح شكل الفناء ما بين المربع والمستطيل، وظهر أيضا في الدور والقصور في العصر الأموي والعباسي، ووجد الفناء ليخفف من درجات حرارة الجو، ومن دخول التيارات الهوائية الباردة التي تعمل على تخفيض درجة حرارة الجو في الصيف، وكذلك دخول حرارة الشمس إليه في فصل الشتاء للحصول على الدفء ، ومن الأسباب التي جعلت المعماري المسلم يعتمد الصحن المكشوف وسط الدار ليكون على اتصال دائم بالسماء، أي من أجل الدعاء إلى الله تعالى كما يقول الأستاذ " حسن فتحي " المعماري المصري المعروف. فالفناء هو قلب المبنى وهو الذي يعبّر عن القلب في جسم الإنسان، حيث تطلّ عليه الحجرات من جميع جهاته بألوانها وزخارفها حول الفتحات والأبواب، ولقد طوّر المعماري المسلم الفناء إلى أن تحوّل إلى حديقة

---

[1] - محمد حسين جودي ، العمارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 66.

فيحاء تفجّرت فيها المياه الجارية بحيث أصبح الفناء فردوسا أرضيا[1]. وقد أشار جورج مارسي إلى ذلك وهو يتحدث عن أهمية الفناء في المسكن الإسلامي بقوله: " إنّ المسكن لا يتنفس من هواء الشارع المطل عليه كما يظهر للنّاس، بل تتمّ تهويته وإضاءته من خلال فنائه الداخلي، والذي يكشف لأهل الدار بعيدا عن أعين النّاس جزءا من السماء "[2]. ولذلك فانعدام الفناء في المسكن يؤدي إلى حجب أشعة الشمس ومنع تجدد الهواء وهذا ما ذكره روبير أزيل في فن تخطيط المدن: "فإنّ الغازات والدخان بواسطة الحواجز الكثيرة أو القليلة التحرك التي تحدها، من طبيعتها التأثير على المناخ المحلي (حجب أشعة الشمس، عقبات تمنع تجدد الهواء) "[3].

وقد وجد الفناء كذلك في مساكن الدولة الرستمية بالجزائر وبالضبط في مدينة سدراته الأثرية والتي تبعد أطلالها عن مدينة ورقلة ببضعة كيلومترات في (البيت ذو الجرار): " يأخذ المبنى شكلا مستطيلا غير منتظم الأضلاع، يتمّ الدخول إليه عبر باب محوري فتح في الجدار الشمال الشرقي، ويؤدي مباشرة إلى ساحة فسيحة، يحيط بهذه الساحة من الجهتين الشرقية والغربية غرف وأروقة مستطيلة وضيقة"[4].

فالفناء الداخلي يتصف بأنّه ذو معنى وأبعاد وظيفية تعتمد على المنفعة، إضافة إلى أنّه يرتبط بمظاهر سيكولوجية واجتماعية، ويعمل على تكوين وحدة للمدينة، باعتباره عنصرا متواجدا في كافة أنواع المباني رغم إخلاف حالاتها الوظيفية، الأمر الذي جعل من الفناء الداخلي يرتبط بهوية العمارة الإسلامية، رغم أنّه سابق لحضارة الإسلام من خلال امتداده إلى حضارة سومر وحضارة وادي الرافدين. وقد تمّ تمييز ثلاثة أنماط من المساكن حيث أنّ المسكن ذو الفناء يعتبر الأساس بالنسبة للمسكن التقليدي في المدينة العربية الإسلامية، وهناك نمطان آخران: المسكن ذو القاعة – المسكن ذو المشربية، فالأول يتصف بأنّه يتكون من فناء أوسط مسقوف يعرف بالقاعة، وهو يمثل قاعة الاستقبال الرئيسية التي تقسم إلى ثلاثة أجزاء، الأوسط ويتصف بالامتداد والاستمرار حتى السطح، في حين يمثل الجزءان الآخران سقفان منفصلان يعلوهما طابق أو أكثر. أمّا الثاني وهو المسكن ذو المشربية فإنّه يتصف بأنّ يمثل نوع المساكن المتلاصقة وذو النوافذ التي تطلّ على

---

(1) - نفس المرجع ، ص 62.

(2) - Georges Marçais , Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman , tome 1, Imprimerie officielle du Gouvernement général de l'Algérie , Alger , 1957 , p 227 -

(3) - روبير أوزيل ، فن تخطيط المدن ، ترجمة : بهيج شعبان ، دار المنشورات عويدات ، لبنان ، ص 65.

(4) - علي حملاوي ، آثار الدولة الرستمية بالجزائر (مدينة سدراته الأثرية) ، مجلة العربي تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 517، ديسمبر 2001 ، ص 89.

الشارع، تثبّت عليه المشربية، كما أنّه له نوافذ عالية تطل على الجانب الآخر تسمح بمرور الهواء ودخول أشعة الشمس، ويتراوح ارتفاع هذا النمط من المساكن من أربعة إلى خمسة طوابق في المتوسط. لذلك فإنّ المسكن ذو الفناء لا يرتفع أكثر من طابقين، والمسكن ذو القاعة لا يزيد عن ثلاثة طوابق، أمّا المسكن ذو المشربية فيتراوح من أربعة إلى خمسة طوابق. ومن ذلك يرى أنّ النوعين الأخيرين تكوّنت بفعل الاختلاف والتمازج مع الحضارات الأخرى، وهذا ما اتصفت به العمارة اليمنية كنتيجة لموروثها الحضاري وطبيعة البيئة، وبفعل أعرافها الخاصة، والنمط الشائع للمسكن في العمارة العربية الإسلامية هو ذو الطابقين الذي يتصف بوجود الفناء الداخلي المفتوح، ولذلك فالمسكن يشكل وحدة اجتماعية، ويعبر عن بيئة عمرانية متكاملة مع المحيط[1].

إنّ الفناء من العناصر المعمارية المشتركة في كافة الدول العربية من العراق إلى المغرب والأندلس وفي الريف والمدن وإليه تتوجه فتحات البيت وأبوابه ونوافذه، وبذلك تظهر المباني الإسلامية متلاصقة فيما بينها، بل إنّ تخطيط المدن الإسلامية اعتمد على نفس الفكرة حيث أنّ المناطق السكنية كانت تبنى من الأطراف أولا ويترك الوسط فضاء والذي كان يسمى ساحة.

وهكذا نجد عنصر الفناء هو الأساس التصميمي لعناصر المدينة العربية الإسلامية حيث يتدرج حجما وتكوينا حسب وظيفة المنشأة (بيت، مدرسة، خان، مسجد) وبهذا يمكن اعتباره وحدة التكرار العمرانية الشكلية للمدينة العربية الإسلامية، حيث يحاك حوله نسيجها العضوي ليربط ما بين تلك الفراغات ويصهر مقاييسها في تكوين عمراني عام غنيّ ومميّز ومتماسك[2].

ومن فوائد الفناء في البيت نذكر ما يلي:

–تقام فيه معظم الفعاليات العائلية خلال النهار.

–يستخدم كمجلس للعائلة في اللّيل خلال أشهر الصيف.

–تهوية الدار.

–دخول الشمس إلى الغرف.

–يستخدم كحديقة داخلية خاصة للعائلة لأنّه تزرع فيه بعض الأشجار المثمرة.

---

(1) - حمزة المعموري ، " الفناء الداخلي في العمارة الإسلامية " ، مجلة العربي تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت ، العدد 503 ، أكتوبر 2000 ، ص 132.

(2) - علاء الدين لولح ، " الملامح المشتركة للتراث العمراني العربي الإسلامي " ، ملخصات أبحاث : مؤتمر الحفاظ على التراث الحضاري المعماري الإسلامي في المدن ، اسطنبول – تركيا - ، أبريل 1985 ، ص 70.

–يستخدم كساحة خدمة محجوبة عن أعين الجيران بواسطة الغرف المحيطة به، لتنمية النشاط الاقتصادي والمتمثل غالبا عند النساء في غزل الصوف ونسجها.

–عادة يوضع فيه حوض ماء لتلطيف الجوّ.

3.2. **الإيوان**: وهو من المميزات المعمارية البارزة في البيت، أو المسكن الإسلامي ويطل الإيوان على الفناء، وهو بناء له ثلاثة جدران، يعلوه، سقفه يكون مكشوفا من واجهته الأمامية، والإيوان يمثل المساحة المسقوفة التي تمثل محطة انتقال بين الغرف الجانبية إلى فضاء عائلي خاص، وبين الفناء الوسطى كفضاء عائلي عام، ويكون الإيوان عادة مربع الشكل وعقدته بيضوية، وواجهته على شكل قوس مدبب، ويبطن عادة بالمرمر إلى ارتفاع ثلاثة أمتار، ويكون على شكل مساحات مزخرفة، وبأشكال هندسية أو نباتية أو مجردة، والقسم العلوي منه مزيّن بزخارف وكتابات جصية بارزة.

واتخذت الأواوين كذلك للقيلولة أثناء فترة النهار في حالة عدم توفر السرداب، وقد يوجد في الدار الواحدة أكثر من إيوان كدار الإمارة في الكوفة أو بيوت سامراء بالعراق.

4.2. **الأروقة**: تقام الأروقة عادة في مقدمة الأواوين والغرف في الطابق الأرضي، وأمام الغرف في الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه، سقفه معقود من الأعلى بمجموعة من العقود، وكانت الأروقة تطل على جانب واحد أو جانبين، أو تحيط بالفناء من جميع جهاته، واستخدم العرب الأروقة منذ عصور قديمة، ثمّ استحدث استخدام هذه الأروقة لأول مرة في دار الإمارة في الكوفة في عهد الإسلام الأول، وظهرت الأروقة في بيوت العباسيين وقصورهم في سامراء.

وإنّ سبب استخدام الأروقة توفير مساحات مظللة تحيط بالفناء وتخفيف حرارة الشمس صيفا، وتسهيل السير والتنقل فيها، وتوفير الحماية من المطار في فصل الشتاء.

5.2. **السرداب (القبو)**: يقام السرداب عادة تحت مستوى أرضية الدار،أي بمستوى منخفض عنه في الجهة الجنوبية تقريبا من الدار. وقد استطاع المعماري العربي المسلم ابتكار هذا الملحق للتغلب على مواجهة الحر الشديد، وارتفاع الحرارة في الصيف، نتيجة لتجاربه الطويلة التي تمكن من خلالها توفير الجو المناسب لساكني الدار، واستخدم في بعض السراديب المنافذ الهوائية للحصول على النور والهواء.

وإنّ جميع هذه الملحقات التي وجدت في المباني العربية والإسلامية كالمساجد والمدارس والقصور ودور السكن والخانات أنشئت للمحافظة على جوّ هذه المباني ولتلطيف حرارتها، واتقائها من العوارض الجوية كالتيارات الغبارية.

6.2. **الرواشن والأجنحة:** الروشن يستند إلى الجدار الخارجي، ويبرز بشكل رقيق، وهو لفظ فارسي معناه الضوء، ويعرف عندنا اليوم باسم (بالكون) التي أصلها فرنسية، والرفيف عبارة عن بروز زائد على طول الجدار يكون إمّا من الخشب أو الطين، حسب المادة النباتية المتوفرة في الطبيعة، ويعرف عند البغداديين والبصريين باسم (الشناشيل) وأمّا الأجنحة فهو نوع آخر من الرواشن، إلاّ أنّها أكثر سعة وامتدادا من الروشن، ويستند على أعمدة مركزة في الأرض قرب الجدار، ويرجح أنّ الروشن استخدمه العرب المسلمون منذ القرن الأول الهجري في مدينة البصرة، ثمّ انتقل استخدامه إلى المدن العراقية والعربية، واستخدم في مصر ويعرف بالمشربيات[1].

7.2. **العناصر الإنشائية الحاملة**[2]:

* **الحوائط الحاملة:** اعتمد إنشاء الدور في العمارة الإسلامية على طريقة الحوائط الحاملة، وبهذه الطريقة تنتقل الأحمال الميتة والحية من السقف إلى الحوائط التي تحتها حتى تصل إلى الأساس المستمر تحت الحوائط والذي يقوم بتوزيع الأحمال على طبقة التربة الصالحة للتأسيس.

وقد استخدم الحجر في بناء أساسات بعض الدور أمّا التي لم يتوفر لها الحجر فقد استخدم الطين مبنيا بطريقة العرق كأساسات قوية بديلة عن الحجر تقوى على توزيع أحمال البناء على التربة.

ويتراوح سمك الجدران الحاملة ما بين 30- 40 سم أو أكثر من ذلك، بينما يبلغ متوسط ارتفاع الجدران حوالي 2.90 متر.

* **الأعمدة:** استخدمت الأعمدة كعناصر حاملة للسقف سيما في القاعات والغرف الواسعة، واستخدام الأعمدة ظاهرة معمارية إنشائية واضحة في إنشاء قاعات واسعة لا توجد بها أخشاب طويلة لحمل سقفها فكان في استخدام الأعمدة ما يحقق ذلك.

وتبنى هذه العمدة من الحجر حيث يقطع الحجر الجيري بمقاييس وأشكال معيّنة في هيئة كتل اسطوانية، ثمّ ترصّ فوق بعضها، ويوضع فوق بأعلى العمود تاج بسيط عبارة عن كتلة من

---

(1) - محمد حسين جودي ، العمارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 66- 68.

(2) - محمد عبد الستار عثمان ، عمارة السدوس التقليدية – دراسة أثرية معمارية - ، مرجع سابق ، ص 234 – 236.

الحجر كلّ منها مكعبة الشكل أو في هيئة متوازي مستطيلات العليا منها أكبر من التي تعلو بدن العمود مباشرة، ويبلغ قطر العمود في المتوسط حوالي 25 سم. ويملط بدن العمود من الخارج بطبقة من الملاط الجصي، وهكذا فإنّ متانة إنشاء العمود وربط القطع الحجرية المكونة له تعتمد على المونة المستخدمة في بنائه وعلى طبقة الملاط الخارجية. وبهذا الأسلوب الإنشائي البسيط أمكن التغلب على عدم وفرة الأعمدة المنحوتة في هيئة كتلة حجرية واحدة. وهو يمثل بذلك صورة من الصور التي أنشأ بها المعمار المسلم أعمدة حجرية من كتل متعددة كالتي استخدمت في الكوفة وبلغ ارتفاعها 15 مترا، حيث تشير الرواية التاريخية أنّ زياد بن أبيه عندما أراد إنشاء الكوفة مرتفعا بهذا الشكل قال له البناؤون:" لا يجيء هذا إلاّ بأساطين من جبال الأهواز تنقر ثمّ تثقب ثمّ تحشى بالرصاص وبسفافيد من الحديد فترفعه ثلاثين ذراعا في السّماء".

وقد ابتكر المعماري المسلم أعمدة ذات طابع مميّز في بنائها وزخرفتها كالمضلعة تضليعا حلزونيا كتلك التي وجدت في جامع إبن طولون بمصر، أما المثمنة فقد شاع انتشارها في عصر السلطان (قايتباي) بمصر وأضلاعها مزيّنة بالزخارف النباتية. وتتميّز قاعدة العمود المشهورة في العمارة الإسلامية بأنّها على هيئة ناقوس مقلوب.

* **التيجان:** ابتكر المسلمون أنواعا عديدة من التيجان المربعة أو البصلية الشكل والمزينة بالمقرنصات أو بأوراق نباتية تتصل بالتاج من الأسفل، وتنتشر فتكون الزهرة المتفتحة، " إنّ التيجان التي ظهرت في العصر الإسلامي لم تكن نسخة طبق الأصل من مثيلاتها في العصور القديمة بل طوّرت حتى أصبحت فنا جديدا"[1].

* **الدعامة:** هي عنصر معماري جديد في العمارة الإسلامية، واستخدم لأول مرة في قبة الصخرة سنة 691 م، ثمّ حصل تطور كبير فيها فظهرت بشكل جديد وفريد من نوعه في جامع سامراء الكبير سنة 778 م، فظهرت قواعد الدعامات مربعة بحيث ترتفع بهيئة مثمن، ويوضع في بعض الأحيان في كل ركن من أركانها الأربعة عمود من الرخام إمّا اسطواني أو مثمن، ويعلو هذه الأعمدة تيجان جرسية.

---

[1] – Yves Korbendau , L'architecture sacrée de l'Islam , ACR édition internationale , courbevoie (Paris) , 1997 , p. 78.

8.2. عناصر التغطية والتهوية والإضاءة[1]:

* **عناصر التغطية:** استخدمت الأسقف المستوية أو المائلة في التغطية، ويتناسب هذا النوع من التغطية مع قوة تحمل الحوائط الحاملة التي أنشئت من الطوب اللبن وبسمك يتـــراوح مـــا بين 30 – 40 سم، وهذا النوع هو الشائع في منطقة نجد، بالرغم من أنّ الأقبية والقباب من أنواع التغطية التي تساعد على التغلب على حرارة الجوّ.

وإذا ما زاد اتساع الحجرات أو القاعات عن ثلاثة أمتار فإنّه في هذه الحالة يلجأ المعمار المسلم إلى استخدام الجوائز الخشبية التي تقسم سقف القاعة إلى قسمين متساويين في الغالب وتحمل مع الجدران عروق السقف. والجائزة عبارة عن عرق خشبي يصل قطره من 17 – 22 سم ويكون في الغالب جذع شجرة أو نخلة، ثمّ يعلو العروق طبقة الجريد يعلوها طبقة من الخوص وهاتان الطبقتان تعملان كعازل حراري كما أنّهما تمهدان لوضع الطبقة الطينية للسقف وهذه الطبقة الطينية تدكّ بطريقة جيّدة لا تسمح بتسرب المياه إلى داخل الحجرات.

* **عناصر التهوية والإضاءة:**

بالرغم من أنّ المناخ قد يختلف قليلا من منطقة لأخرى في الوطن العربي، إلاّ أنّ المناخ بصورة عامة صحراوي جاف مع وجود بعض المدن ذات الرطوبة العالية في المناطق الساحلية. الطقس بصورة عامة يميل إلى الحرارة صيفا وإلى البرودة شتاء مع استثناءات قليلة، هذا المناخ شبه الموحد أدى معالجات بيئية متشابهة في المناطق المختلفة.

المعالجات البيئية تكون عادة شاملة، أي أنّ معالجة الشارع جزء من معالجة البيوت، ولذلك الشوارع في المدن العربية تكون ضيقة ومتعرجة ومغطاة بالمشربيات وغيرها من أساليب التسقيف الجزئية، هذا يؤدي إلى ارتفاع الضغط وانخفاض درجة الحرارة فيها. الأفنية في البيوت تكون واسعة نسبيا ومكشوفة ومعرضة للشمس، وهذا يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الضغط فيها وهذا يؤدي بدوره إلى انسياب الهواء من الأزقة إلى الأفنية في البيوت من خلال المشربيات والمجازات.

---

[1] - محمد عبد الستار عثمان ، عمارة السدوس التقليدية – دراسة أثرية معمارية - ، مرجع سابق ، ص 237 – 246.

ومن أهمّ عناصر التهوية والإضاءة في العمارة الإسلامية:

– **النوافذ والفرجات**: فالنوافذ هي التي تفتح في جدران البيوت سواء في الطابق الأرضي أو العلوي، وهي تساعد في خروج الهواء الساخن من الحجرة ليحل محله الهواء البارد.

أمّا الفرج فهي الفتحات المثلثة التي تفتح في أعلى الجدران في هيئة صف أو أكثر وتعتبر من عناصر التهوية والإضاءة، وهي توجد في القاعات العادية أو المطابخ، ويتراوح طول ضلعها ما بين (20-35 سم) وتساعد على خروج الهواء الساخن في الطبقات العليا للقاعة، كما أنّها تسمح بنسبة ضوء بسيطة، ويمكن سدها بسهولة في الشتاء أو وقت الحاجة عند هبوب الرياح التي تحمل الأتربة بقطع من القماش.

– **مناور السلالم**: وتعتبر مناور السلالم التي تربط الطابق الأرضي بالعلوي من عناصر التهوية والإضاءة حيث توجد فتحة كبيرة نسبيا تعلو الدرجات العليا من السلّم حتى لا يصطدم الصاعد بالسقف في هذا الموضع بسبب قربه من مستوى السقف.

– **الأبواب**: يمكن تجاوزا اعتبار الأبواب من عناصر التهوية والإضاءة، ويلاحظ بصفة عامة توجيه وضع أبواب الحجرات غالبا نحو مصدر الضوء والهواء وغالبا يكون نحو فناء الدار حتى تصلها أكبر نسبة منهما بعيدا عن أيّ عوائق أو جدران داخلية معترضة للضوء والهواء.

– **الأفنية المكشوفة**: استغلّ الفناء كعنصر اتصال وحركة واستغلّ في ذات الوقت للإضاءة والتهوية للغرف من خلال أبوابها ونوافذها أو الفتحات المثلثة التي وجدت في جدران الحجرات.

– **الملاقف**: وهي أبراج متصلة بالمباني تستخدم للتبريد وكانت توضع في المساجد والمستشفيات على نطاق واسع، ففي العصر العباسي كانت جميع المستشفيات مزودة بالملاقف الهوائية وكذلك أغلب البيوت.

9.2. عناصر الاتصال والحركة[1]:

* **الأبواب**: تعتبر الأبواب من عناصر الاتصال الأساسية في العمارة الإسلامية حيث تصل الأبواب الخارجية الدار بالطرق المطلة عليها، أمّا الأبواب الداخلية فتصل ما بين وحدات الدار الداخلية، ومعظم الدور لا يوجد لها إلاّ باب خارجي واحد.

---

[1] - نفس الرجع ، ص 275.

* **فناء الدار**: يعتبر الفناء قاعة توزيع بين حجرات الطابق الأرضي حيث تحيط به هذه الحجرات والوحدات الأخرى ممّا يساعد على تحقيق الخصوصية لأهل الدار.

* **السلالم**: تعتبر السلالم مجموعة من الدرجات وضعت بترتيب لوصل الأدوار المختلفة في المبنى بعضها ببعض رأسيا، ولذلك فهي من عناصر الاتصال في المبنى، أمّا مكان وضع السلّم فهو يوضع في مكان يخدم الغرض الذي شيّد من أجله ففي البيوت التقليدية غالبا ما يوضع بجانب نهاية المدخل الرئيسي.

وتصمم السلالم بمقاسات متطابقة لحركة الإنسان العادي وأبعاده كمثل حركة أرجله في الصعود على السلّم ونزوله وذلك للحفاظ على سلامته وأمنه، وكلّ درجة من السلّم مكوّنة من قائمة (40 سم) ونائمة (45 سم).

10.2. مواد وأساليب البناء:

تختلف مواد البناء حسب المنطقة ووفرة المادة فيها وقلّة تكلفتها، إذ أنّها غالبا ما تكون محلية إلاّ أنّ استخدام الطوب شائع جدا. ففي الشام يستخدم الحجر بكثرة، وفي سواحل الخليج العربي يكثر استخدام حجر المرجان المستخرج من البحر كما في دبي، أمّا في المغرب الإسلامي فيكثر استخدام الطابية (الطين مخلوطة بحجارة صغيرة) والطوب والآجر المحروق والحجارة.ويعتمد في البناء على الجدران الحاملة كنظام بناء رئيسي مع كثرة استخدام مختلف الأقبية للتسقيف بالرغم من أنّ السقوف الخشبية تستخدم أيضا لرخص ثمنها وسهولة بنائها مقارنة بالأقبية، إلاّ عمرها قصير بالمقارنة.

المسكن في المشرق الإسلامي:

1. الـــمسكن التقليدي في قرية " سدوس "[1]:

تعتبر قرية سدوس واحدة من أجمل القرى الأثرية ذات الأهمية الكبيرة في المملكة العربية السعودية نظرا لما تحتويه بيوتها من عناصر فريدة وزخارف جصية تعود إلى ما قبل القرن الثاني عشر الهجري، كما تعد نموذجا لأصغر قرية متكاملة مسورة ليس في المملكة فحسب بل ربما في الجزيرة العربية بأسرها. تقدر مساحتها 75120 م2، ومجموع بيوتها حوالي (120) بيتا بالإضافة إلى المرافق الأخرى كالمسجد والبئر والأبراج، وبهذا الشكل يسهل ترميمها وصيانتها وتوثيقها وهذا ما فعلته الإدارة العامة للآثار والمتاحف.

ويعرض هذا التحليل لعناصر الانتفاع وعناصر الإنشاء والوقاية وعناصر الاتصال والحركة وعناصر التهوية و الإضاءة و العناصر الجمالية للمسكن التقليدي من خلال دور سدوس.

1.1. عناصر المنفعة :

تتمثل هذه العناصر في وحدات الدار التي تؤدي وظائف مختلفة ترتبط ارتباطا أساسيا بحياة ساكنيها، و تتضمن هذه الدراسة أيضا بعض مرافق الدار المختلفة التي تؤدي أغراضا انتفاعية تتصل بذلك. و يمكن حصر هذه الوحدات و المرافق فيما يلي :

- **باحة الدار :**

باحة الدار تسمى محليا **بطن الدار** وهي ساحة الدار أو عرضها التي تلي المدخل ويتوصل منها إلى وحدات الدور الأرضي وكذلك الدرج الذي يؤدي إلى الطابق العلوي. وتؤدي هذه الباحة أكثر من وظيفة فهي تستغل في الأغراض المعيشية المختلفة فيوجد بها في أحد جوانبها التنّور أو الفرن الذي يستخدم في صنع الخبز وتشتمل في بعض الدور على بعض المرافق المبنية بالطين بطريقة **الطوف** والتي تستخدم في حفظ بعض الأدوات أو لتربية الطيور والحيوانات الصغيرة. ويمكن أن تمارس فيها النساء بعض أعمالهن كما يمكن لأهل الدار جميعا استخدامها كموضع لقضاء بعض الوقت في الحديث والمسامرة. بالإضافة إلى ذلك فإنها تعتبر عنصر اتصال رئيس باعتبارها بمثابة صالة توزيع تربط بين وحدات الدار المختلفة.

---

[1] - محمد عبد الستار عثمان ، عمارة السدوس التقليدية – دراسة أثرية معمارية - ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، سنة 1999 ، ص 177 - 214.

وتختلف مساحة باحة الدار من دار إلى أخرى ويحكمها إلى حد بعيد مساحة الدار نفسها، وطريقة توزيع الصفف أو الحجرات حولها وكذلك موضع السلم وعلاقته بمدخل الدار حيث يراعى غالبا أن يتوصل من المدخل إلى السلم من أقرب طريق غبر الباحة.

و في بعض الباحات التي زاد طولها من 3.5 – 4 أمتار يوجد عمود حجري لحمل السقف لاتساع بحر الباحة ويضيء بعض باحات الدور الكبيرة "منور سماوي"، أما غالب الباحات فتعتمد في إضاءتها على النور الساقط من الفتحة التي تعلو الدرج المؤدي إلى السطح أو ما يسمى ببئر السلم بالإضافة إلى نسبة الضوء التي تحدث عند فتح باب الدار.

- **المجلس** :

المجلس هو المسمى المحلى لقاعة استقبال الضيوف، ويطلق عليه أيضا **الديوانية**، ويوجد المجلس في بعض الدور بالدور الأرضي أو الطابق العلوي. وهناك من الدور ما اشتمل على مجلسين أحدهما في الدور الأرضي والآخر في الطابق العلوي. وليس لذلك علاقة باستخدام أي منهما في وقت معين يمكن استخدام أي منهما في أيّ وقت وحسب الظروف.

والمجلس عبارة عن قاعة كبيرة بالنسبة لحجرات الدار الأخرى، وأحيانا يزيد اتساعها عن أربعة أمتار مما يضطر إلى إنشاء عمود في الوسط يحمل سقفها مع الجدران ويركز على هذا العمود غالبا جائزتين من الخشب تزخرفان بزخارف ملونة عبارة عن أشكال هندسية عليهما المسمى المحلى **كاسور** أو **ساتف** وتحملان فوقهما مع الجدارين الجانبيين العروق الخشبية التي تحمل بقية بناء السقف الذي يتخلله في بعض المجالس فتحات للتهوية والإضاءة وتصريف الدخان وكل فتحة من هذه الفتحات لاسيما تلك التي لها غطاء خشبي يغلق و يفتح عن طريق حبل يجذب إلى أسفل عن طريق أحد الأفراد ممن بالمجلس تسمى محليا **سوامة**. ويلاحظ أن هذه الفتحات توجد غالبا في مجالس الدور الأرضي وفي تلك النوعية من المجالس التي لا تشتمل على منافذ للتهوية كالنوافذ والفرجات والتي يكون في فتح بابها للتهوية ما قد يعرض أهل الدار للكشف و تشتمل بعض المجالس على نوافذ للتهوية والإضاءة وتصريف الدخان، كما يشتمل بعضها الآخر على فرجات أي فتحات مثلثة صغيرة لتحقيق هذا الغرض.

ويوجد في المجلس المرافق الآتية:

– الكمار :

وفي أحد أركان قاعة المجلس يوجد **الكمار** وهي عبارة عن دخلة في الحائط أو بناء بارز عن سمت الحائط يتضمن رفوف من الخشب غالبا تلتصق بحائط ركن المجلس، وغالبا ما يحيط بهذا **الكمار** إطار من زخارف جصية عبارة عن وحدات زخرفية هندسية ونباتية، كما يتوّج أعلى **الكمار** في بعض المجالس وحدات زخرفية معمارية تأخذ شكل الشرافات بأشكال متنوعة ويغلق الجزء السفلي من **الكمار** مصاريع خشبية صغيرة فيكون هذا الجزء أشبه ما يكون بدولاب حائطي يحفظ به الشاي و السكر و البخور و الزعفران و نحوه.

أما الرفوف العليا فتخصص لوضع الدّلال والأباريق التي تستخدم في تجهيز القهوة والشاي للضيوف. و لم يكن جميع أهالي بلدة سدوس يمتلكون مثل هذه الأدوات حيث كان بعضهم يستعيرها من دور أهل الثراء بالبلدة الذين يمتلكون نماذج متعددة منها يستخدمونها ويعيرون بعضها لذوي الحاجة.

- الوجار :

ويوجد بجوار الكمار **الوجار** وهو عبارة عن موقد النار الذي يتم فيه إشعال الحطب أو الفحم لتجهيز القهوة أو الشاي وأيضا للتدفئة في ليالي الشتّاء الباردة. ويقع خلف **الوجار** دخلة مثلثة صغيرة تستخدم عادة في تخزين الحطب أو الفحم و تسمى هذه الفتحة **الطاق**.

وأرفع مكان في المجلس هو الذي يجاور الكمار و**الوجار** من الجهة اليمنى ويجلس فيه عادة كبار السّن أو الضيوف أو من لهم مكانة خاصة عند صاحب الدار وله مسند أو مكسلة يتكئ عليها من يجلس في هذا الموضع ويسمى محليا **مركأ** أويطلق على هذا الموضع بصفة عامة محليا مسمى المحكمة.

وقد حرص مخطط الدار في سدوس على اختيار موضع المجلس بين وحدات الدار حتى لا تنكشف للغرباء من الضيوف. و لم يكن ذلك أمرا سهلا في التخطيط المتضام للدور ذات المساحات الضيقة نسبيا والتي لا يسهل فيها تحقيق هذا الغرض بسهولة، لكن المخطط نجح إلى حد كبير في تحقيق ذلك عن طريق عدّة حلول معمارية وفّرت إلى حد كبير نوعا من الاستقلالية

للمجلس عن بقية وحدات الدار، وفي ضوء ما تم حصره من مجالس في دور سدوس يمكن أن نعدد هذه الحلول على النحو التالي :

– في بعض الدور اشتمل المجلس على مدخل مستقل يفتح على الطريق الخارجي مباشرة.

– في الدور التي لم يتوفر لها إمكانية عمل مدخل مستقل للمجلس روعي أن يكون المجلس في أقرب موضع من الباب الرئيس، وإذا كان المجلس في الطابق العلوي فإن الدرج الذي يؤدي إلى هذا الطابق يكون أقرب موضع إلى المدخل بحيث يمكن للداخل أن يصل بصورة شبه مباشرة إلى المجلس دون الولوج بين وحدات الدار الأخرى سواء في الدور الأرضي أو الطابق العلوي.

– كذلك روعي في تصميم المجلس ألاّ يكشف من يجلس به أهل الدار من خلال فتحة الباب الخاصة بالمجلس أو ما قد يشتمل عليه من فتحات للتهوية بالجدران فقد وضع الباب في طرف أحد جدران المجلس بما يوفر أكبر مساحة للجالسين به دون أن يكشفوا أحد ودون أن يراهم أيضا أحد، كذلك اختير موضع الكمار والوجار في المجلس اختيارا يفرض أو يحدد موضع جلوس الصفوف بجواره في وضعية لا تمكنهم غالبا من رؤية من بخارج المجلس عبر فتحة بابه. وبالنسبة لفتحات التهوية سواء كانت كبيرة على هيئة نوافذ أو صغيرة مثلثة **فرجات** وضعت في أعلى جدار المجلس حتى لا يمكن من بالمجلس أثناء وقوفه من رؤية أحد من خلال هذه الفتحات ويعني هذا الوضع تحديد وظيفة هذه الفتحات لغرض التهوية و الإضاءة دون الإطلال .

ويستخدم المجلس لاستقبال الضيوف، كما كان يمكن استخدامه كغرفة للنوم إذا ما دعت الظروف إلى المبيت.

وكان المجلس أيضا الموضع الذي يقدم فيه للضيوف وجبات الغذاء المختلفة، و لم يكن يسمح للنساء بالدخول إلى المجلس إلا في حالة إذا ما كان الضيوف من المحارم وفيما عدا ذلك كان يحضر الابن الأصغر لصاحب الدار الغذاء إلى الضيوف حيث لم يسمح للنساء بدخول المجلس و القيام بهذا العمل تجنبا لكشفهنّ للغرباء من الضيوف تماشيا مع التعاليم الدينية.

والمجلس يفرش بالحصير أو الأبسطة الخفيفة والمتكآت التي يمكن أن توظف للجلوس في النّهار وتستخدم أيا كفراش في الليل أثناء استخدام المجلس للنوم. وكان تبخير المجلس بالبخور من العادات السائدة في المنطقة كلها ومن بينها سدوس حيث توفرت المباخر وأنواع البخور اللاّزمة.

ومقارنة سريعة بين اختيار موضع المجلس وتخطيطه بهذه الهيئة في دور سدوس، وما بقي من أمثلة في بعض مدن القصيم كبريدة و عنيزة التي أفرد فيها للمجلس موضعا مستقلا عن التكوين المعماري للدار، وهو ما حدث أيضا في بعض دور الكويت التقليدية يكشف إلى أي حدّ كان المخطط لدور سدوس محكوما بالمساحة حيث أن نظام تخطيط الدور بها يمكن تصنيفه في عداد النمط المتضام (**Compact Style**) الذي تتلاصق فيه المباني وتصغر فيه المساحات المخصّصة للدور انعكاسا مباشرا لمحدودية المساحة الداخلية المسورة للبلدة. وبالرغم من ضيق المساحة التي لم يمكن من إفراد مواضع مستقلة للمجالس إلا أنّ المخطط تحايل بشتى الطرق لتحقيق الخصوصية ووقاية أهل الدار من النساء من عيون الغرباء من الضيوف.

وبذلك تمثل مجالس الدور في سدوس نموذجا من نماذج قاعات استقبال الضيوف التي انتشر إنشاؤها في الدور الإسلامية والتي صمّمت تصميما خاصا يحقق الخصوصية لأهل الدار مع تحقيقه الهدف الأصلي من إنشائها وهو توفير موضع ملائم لاستقبال الضيوف.

- الصفف :

الصفف كما تسمى محليا عبارة عن حجرات الدور الأرضي من الدار وهي غالبا خالية من أية نوافذ، وأحيانا تتصل اثنتان من هذه الصفف ببعض عن طريق فتحة باب تربط بينهما بحيث يكون الدخول إلى إحداهما من الأخرى. وتستخدم إحدى هذه الصفف في تخزين المواد الغذائية وتناسب ذلك مع حرارة المناخ سيما في فصل الصيف حيث تكون حجرات الدور الأرضي أقلّ حرارة بما يساعد على حفظ المواد الغذائية كما تستخدم أخرى لتخزين علف الحيوان، كما أنّ هناك صفة البقرة وبيت الحطب. أمّا بقية الحجرات فبعضها يستخدم في الأغراض المعيشة و بعضها يستخدم للنوم ويمكن أن تؤدي الحجرة الواحدة هذين الغرضين لبساطة الفرش والأثاث الذي يوضع بهذه الحجرات وغالبا ما تستخدم للمعيشة أو للنوم في فصل الشتاء فعندما يدخل الشتاء ويشتدّ البرد ينزل أهل الدار إلى الدور الأرضي لسكنى حجراته ويسمى ذلك محليا **حدر** ومع قدوم الصيف و اشتداد الحرارة يرقى أهل الدور لغرف الطابق العلوي ويسمى ذلك **سقف** حيث يستخدم السطح غالبا في النوم في هذه الفترات شديدة الحرارة.

ويختلف الشكل المعماري لهذه الصفف من حيث مساحتها فبعضها يأخذ هيئة قاعة كبيرة يزيد طولها عن أربعة أمتار و يفرض هذا الطول بناء عمود في وسط القاعة لحمل السقف مع

الجدران، و بعضها يكون عبارة عن حجرة مستطيلة غالبا لا يزيد طولها عن 3 – 3.5 متر غالبا وكذلك عرضها ويلاحظ عدم انتظام تربيع هذه الحجرات وهي ظاهرة معمارية تلاحظ أيضا في حدود مساحات الدور بصفة عامة وما تضمنته من وحدات أخرى.

ويستثنى من ذلك حجرات نماذج محدودة من الدور الذي يلاحظ فيها انتظام تربيع كثيرة من حجراتها، و بنفس الأسلوب كان تخطيط حجرات وقاعات المدرسة التي أنشئت فترة متأخرة وربما متعاصرة مع إنشاء بعض هذه الدور بما يوحي بأن الدور التي تتمثل فيها ظاهرة انتظام التربيع في حجراتها يمكن أن يكون قد حدث لها إعادة بناء، أو أنها أنشئت في فترة متأخرة.

وتغلبا على عدم انتظام تربيع الحجرات ووجود بعض الزوايا الحادة في بعض القاعات جعلت الأركان ذات الزوايا الحادة في بعض قاعات بعض الدور بهيئة مقوسة من الداخل عن طريق الزوايا الحادة بالبناء أو بالطين عند تلبيس الجدران.

- **المصابيح** :

والمصابيح مفردها مصباح وهي صالات الدور العلوي، وتتوسط حجرات الطابق العلوي وهي بمثابة صالة التوزيع حيث يتوصل منها إلى هذه الحجرات. وتزود المصابيح هذه الحجرات – غالبا – بالتهوية والإضاءة اللاّزمة سيما وأن إمكانية فتح نوافذ لهذه الحجرات كانت محدودة. ولها مدخل ينتهي إليه الدرج الذي يربط بين الدور الأرضي وهذا الطابق العلوي، كما أن لها مخرج آخر يؤدي إلى الدرج الذي يربط بين الطابق العلوي والسطح. وقد يتوسط أرضية المصابيح مناور تضئ باحة الدار في الدور الأرضي ويعلو هذه المناور وعلى محورها في سقف المصابيح مناور أخرى يصل منها الضوء إلى المصابيح وإلى باحة الدار عبر المناور سابقة الذكر.

وتخطيط المصابيح في الطابق العلوي يشبه إلى حد كبير باحة الدار حيث أنها تعلوها مباشرة، ويلاحظ أن العتبات السفلية لأبواب الحجرات "**الرواشن**" المطلة على المصابيح غالبا ما تكون مرتفعة بعض الشيء حيث يبلغ ارتفاعها حوالي 0.30 متر .

- الغرف بالطابق العلوي " الرواشن " :

تسمى في المصطلح المحلي "**الرواشن**" وهي تشبه غالبا في مخططها الصفف بالدور الأرضي حيث أنّ إنشاء الدور اعتمد على الحوائط الحاملة Bearing Walls وفي حالات محدودة اختلف التخطيط نتيجة الاستغناء عن بناء جدار قاطع داخلي بغرض التخفيف أو توسيع المساحة، وشكلها أفضل من غرف الدور الرضي لمحاولة التفتن في تجميل إنشائها. ولهذه الغرف أبواب خشبية زخرفت – في بعض الدور – بزخارف هندسية ونباتية ملوّنة كما أن بعضها نفذ بطريقة الكي.

ويوجد بأعلى جدران بعض الغرف مشاجب خشبية عبارة عن حوامل وهي قطع خشبية مستديرة القطاع بارزة عن سمت الجدار لتعليق الملابس، كما كان يربط حبل في مشجبين بأعلى جدارين يلتقيان في ركن الحجرة لتتشكل بذلك حمالة توضع أيضا عليها الملابس وفي بعض الحجرات وجدت رفوف خشبية أو حجرية مثبتة بأعلى الجدران أيضا وهي عبارة عن لوح خشبي أو حجري محمول على مشجبين أو أكثر. وتستخدم هذه الرفوف في وضع بعض الحاجيات الخفيفة وأحيانا أدوات الإضاءة الصناعية .

وغالبا ما يقطن رب الأسرة وزوجته في حجرات الطابق العلوي، وتخصص بقية الرواشن للشباب الذين على وشك الزواج، وفي بعض الدور استدعت الحاجة لبناء رواشن لأبناء صاحب الدار المقبلين على الزواج حيث جرت العادة أن يسكن الابن مع الوالد في نفس الدار، ومن ثّم فإن النموّ المعماري للدار بصفة خاصة كان قائما .

- الساباطات " الـــمجبب " :

تمثل الساباطات عنصرا مهما من عناصر الانتفاع في دور سدوس وقد تعددت أمثلتها سواء التي تعلو الشارع الرئيس أو السكك الجانبية، ومن ثم فإنّ إنشاء هذه الساباطات كان ليزيد مساحة الطابق العلوي في الدار والسطوح بمساحة الساباطات التي يعلو الطريق. وقد استخدمت كمرفق من المرافق التي ألحقت بدور سدوس كالمطبخ أو الجصة. ويلاحظ أنّها لم توظف كعناصر انتقال حيث لا يوجد أي واحد منها يؤدي وظيفة الاتصال متمثلة في الربط بين دارين متقابلين كما هو الحال في بعض البلاد الأخرى .

واعتمد إنشاء هذه الساباطات في الدور الأرضي على حوائط الدار التي يتبعها الساباطات في جانب وعلى حوائط الدار المقابلة في الجانب الآخر، أو على دعامات تبنى ملاصقة لجدار الدار المقابلة.

وقد زوّدت الساباطات غالبا بنوافذ تطل على السكة وروعي ألاّ تكشف نوافذ الساباطات بعضها بعضا ولذلك نلحظ التتابع في وضع هذه النوافذ في اتجاه واحد وتتابعها في اتجاه الشرق، وهو الاتجاه الطبيعي لفتحها سيما وأنّه يزوّد هذه الساباطات بنسبة كافية أكبر الإضاءة.

- السطح :

تتوصل إلى السطح من خلال الدرج الذي يربط بينه و بين الطابق العلوي والذي يوجد غالبا في موضع قريب جدا من الدرج الذي يربط بين الدور الأرضي والطابق العلوي ليسهل الوصول مباشرة لمن بالدور الأرضي إلى السطح دون الحاجة للمرور بين حجرات الطابق العلوي.

ويستخدم السطح غالبا في فصل الصيف للنوم ومن ثمّ جرت العادة ببناء سترة بارتفاع 2متر تقريبا لمنع كشف المرور المجاورة لسطح الدار ومنع كشف من بسطح الدار للدور المجاورة. وقد سميت السطوح بسبب بناء هذه السترات **الطوايا** وعادة ما يوجد بالسطح جزء مسقوف يحفظ به الفرش المستخدم في النوم في ليالي الصيف، ويسمى في المصطلح **المنفوح** .

وفي بعض الدور بنيت الجدران الداخلية و لم يكتف بإنشاء السترة على الجدران الخارجية ومن ثم يبدو السطح في هذه الحالة كما لو كان طابقا ثالثا لكنه بدون سطح، ويتوافق بناء هذه القواطيع الداخلية واستخدام السطح للنوم من جانب أفراد الأسرة سواء كانوا من الرجال أو النساء حيث يوفر بناء هذه القواطيع مواضع مستقلة مستورة تساعد على استغلالها بعضها بواسطة النساء بعيدا عن كشف الرجال لهن .

- **الأحواش و الإسطبلات :**

من الملاحظ أن ما تشتمل عليه دور سدوس من أحواش و إسطبلات كان في الغالب ضمن ما حدث من إضافات معمارية لبعض الدور المجاورة للسور الغربي. وفيما عدا ذلك تكاد بقية دور سدوس تخلو من اشتمالها على هذه النوعية من الوحدات المعمارية حيث لا تتسع مساحاتها الداخلية لإنشاء هذه الأحواش والإسطبلات التي يمكن أن تقوم بعض "الصفف" أو الحجرات في الدور الأرضي بوظيفتها سواء في تخزين الحطب أو في ربط الدواب بها كالبقر والماعز والأغنام

ومن ثم فإنّ هذه الوحدات تعدّ من بين الوحدات المعمارية التي دخلت على عمارة بعض الدور في سدوس في فترة لاحقة ويمكن أن تعدّ قرينة على حداثة إنشائها في حالة إذا ما كانت مضافة، أو حداثة إنشاء الدار التي أنشئت ضمن وحداتها إذا كانت منسجمة مع تخطيط الدار.

أمّا الأحواش التي بالدور المجاورة للسور الغربي فقط مكّن الامتداد خارج السور من إنشائها وهي عبارة عن مساحات متسعة تأخذ أشكالا مختلفة ولها أبواب مستقلة من الخارج ومعظمها يتصل ببناء الدار من الداخل عن طريق فتحة باب فتحت في السور، ومن هذه الأحواش ما استقلّ بفتحة باب خارجية في الجهة الغربية و لا يتصل ببناء الدار. كذلك يلاحظ أن فتحات خزانات المراحيض التي كانت ضمن الإضافات المعمارية لهذه الدور لها فتحات أرضية تفتح على هذه الأحواش وتستغل في التخلص من الفضلات في حالة امتلائها. ويساعد الباب الخارجي بكلّ حوش من هذه الأحواش على إخراج هذه الفضلات إلى المزارع دون الحاجة إلى المرور عبر الدار وسكك البلدة .

- المراحيض:

خلت معظم دور سدوس من وجود المراحيض، وكان قضاء الحاجة للرجال في الخليج الشرقي بينما قضى النساء حاجتهن في الخليج الغربي. وفي وقت متأخر – كما يبدو – ألحق ببعض الدور مراحيض سيما الدور الواقعة بمحاذاة السور الغربي حيث أنشئ لهذه الدور مراحيض ضمن الإضافات المعمارية التي لحقت بها وكانت في الغالب عبارة عن هذه المراحيض وبعض الأحواش الخاصة بالدواب، وتّم التوصيل بين هذه الإضافات خارج السور وهذه الدور بعمل "نقبات" أو فتحات في السور.

فبناء المرحاض يعلو خزان مبنى يرتفع عن مستوى الأرض ارتفاعا يساعد على تخزين أكبر كمية من الفضلات في هذا الخزان، أمّا المرحاض نفسه فهو عبارة عن **بيت الخلاء** يؤدي إليه درج ينتهي إلى فتحة باب بطرف جدار المرحاض الذي يؤدي إليه الدرج، وبالدخول من هذه الفتحة نصل إلى كرسي المرحاض الذي يكون غالبا في اتجاه يخفي الجالس عن رؤيته من خلال فتحة الباب وذلك بجعل المرحاض على محور قائم على محور فتحة الدخول. وكان الهدف من ذلك بالإضافة إلى تسهيل استخدام المرحاض، ستر من بداخل المرحاض سيما وأنّه لم يكن هناك مصراع يغلق على "بيت الخلاء" .

ويوجد بأحد جدران الخزان وفي مستوى الأرض فتحة تسد بالطوب أو الحجر حتّ يسهل فتحها عندما تدعو الحاجة للتخلص من الفضلات التي تملأ الخزان في حالة امتلائه .

و في بعض الدور كان يوضع المرحاض في الطابق العلوي كما هو الحال في معظم مراحيض الدور التي هي في محاذاة السور الغربي. ومن ثمّ فإنّ بناء الخزان كان يرتفع إلى مستوى هذا الطابق حتى الأرض حيث توجد فتحة الخزان التي وضعت في خزانات هذه الدور في اتجاه الغرب ليسهل التخلص من الفضلات عبر الفتحات الخارجية الغربية التي استخدمت لهذه الإضافات المعمارية في هذه الدور .

- الحمامات والمطابخ:

أنشئ ببعض دور سدوس حمامات ومطابخ، ويلاحظ أن إنشاء هذه الحمامات والمطابخ كان أيضا ضمن الإضافات المعمارية التي ألحقت بالدور الملاصقة للسور الغربي بصفة خاصة حيث مكّن الامتداد المعماري من إنشاء هذه المرافق كما أنشئت المراحيض، ويلاحظ علاقة التجاور بين هذه المرافق المضافة.

والحمام عبارة عن حجرة صغيرة تختلف مساحتها من حمام لآخر لكنّها في معظم الحالات أكثر اتساعا من المرحاض وتساعد على أن يستخدمها المستحم باستخدام بعض الأدوات التي توضع بها كالماء بسهولة وحرية في الحركة. ويرتبط تصريفها بتصريف المرحاض غالبا ومن هنا كانت علاقة التجاور المتلازمة بين المراحيض والحمامات والمطابخ أيضا.

أمّا المطابخ فقد أنشئت هي الأخرى ببعض الدور الملاصقة للسور الغربي ضمن ما أضيف إليها من مرافق وكذلك في بعض الدور التي أنشئت في فترة متأخرة. وفيما عدا ذلك خلت بقية الدور من إنشاء المطابخ بهذا المفهوم المعماري المحدد حيث كان يمكن أن يستخدم باحة الدار أو إحدى الغرف كمطبخ إعداد الطعام. ويلاحظ أن معظم المطابخ التي ألحقت بالدور المجاورة للسور الغربي تمّ إنشاؤها في الطابق العلوي مجاورة للحمامات والمراحيض وهذا الطابق غالبا ما كان يضم الغرف التي يستخدمها أهل الدار في الدور الأرضي أو حتى تلك التي في الطابق العلوي .

وتختلف مساحة المطبخ من دار إلى أخرى لكن مساحته في الغالب تبلغ في المتوسط حوالي (2.25 x 1.75) متر مربع، ويشتمل المطبخ على **نصبة كوانين أو تنانير** لطهي الطعام أو عمل الخبز على "**الصاج**" كما يوجد في بعض المطابخ مواضع لتخزين بعض المواد المستخدمة

في تجهيز الطعام ويوجد بالمطابخ فتحات لتصريف الدخان بالإضافة إلى التهوية والإضاءة وقد تنوعت هذه الفتحات فمنها ما كان بالحائط ومنها ما وضع في سقف المطبخ لتسهيل خروج الدخان الناتج عن إشعال حطب الوقود .

واشتملت الدور على مواضع لتخزين حطب الوقود وغالبا ما اشتعلت إحدى الحجرات في الدور الأرضي لهذا الغرض، كما كان يستخدم أيضا **بيت الدرج** أي الموضع أو **الحنية** التي أسفل السلم لتخزينه أيضا. كما اشتملت بعض الدور على حوش خاص لتخزين الحطب يسمى محليا **حوش الحطب** وغالبا ما كان سعف النخيل و فروع الأثل هي المصدر الرئيس للوقود .

وقد استخدمت في إعداد الطعام بعض الأدوات الفخارية والنحاسية التي بقيت بعض نماذجها التي جمعت حاليا في قاعة خاصة بمركز الشباب بسدوس .

وتكتشف دراسة إحصاء المراحيض والحمامات و المطابخ عن بعض الحقائق المهمة يمكن تصنيفها حسب كل نوعية على النحو التالي :

- بالنسبة للمراحيض يلاحظ أن معظم الدور التي تجاور السور الغربي هي التي اشتملت على مراحيض كما يلاحظ أن هذه المراحيض كانت ضمن إضافات معمارية لهذه الدور.
- بالنسبة للحمامات يلاحظ أنّها تقريبا تقع جميعها في الطابق العلوي، ويوجد حوالي 73.33 % منها في الدور الملاصقة في السور الغربي وهي ضمن ما حدث من إضافات خارج السور لهذه الدور، أي أنّها بنيت في فترة متأخرة. ويعني ذلك أن دور سدوس قبل إنشاء هذه الحمامات في الفترة المتأخرة لم تكن تشتمل على حمامات وكان يمكن للرجال استخدام "المروش" المجاور للبئر شرقي المسجد أما النساء فكان يمكنهنّ الاستحمام في أيّ حجرة من حجرات الدار سيما حجرات الدور الأرضي.
- بالنسبة للمطابخ يلاحظ أنه لا يوجد أي مطبخ في الدور الأرضي لأي من الدور، و إنما تركزت كلها ضمن وحدات الطابق العلوي ويلاحظ أيضا أن 57 % منها ألحق بالدور المجاورة للسور الغربي و هو ما يعني حداثة إنشائها في هذه الدور.

و لهذه النتائج دلالتها التي تلقى مزيدا من الضوء على تاريخ إنشاء دور سدوس، فهذه النتائج تتفق وما أشرنا إليه من أنّ النموّ المعماري لسدوس كان من الجنوب إلى الشمال.

- الجصة :

الجصة من مرافق الدار الأساسية في سدوس ، فقد انتشر إنشاؤها في كثير من الدور انتشارا واضحا حتى أن 36.36 % من دور سدوس وجد بكلّ دار منها جصة بل إنّ بعض هذه الدور وجد به جصتان.

ويرتبط هذا الانتشار ارتباطا أساسيا بالنخيل الذي كان من أهم ما يعني بزراعته أهل البلدة و ما زالت بساتين النخيل تحيط بالقرية من جهاتها المختلفة. وقد شكل البلح غذاء مهما لأهالي البلدة ومن ثمّ كان يتم تخزينه بالدور في هذه الجصات لاستخدامه في الغذاء وللاستفادة من الدبس(سائل شبه العسل ينتج من تراكم التمر الرطب) الذي ينتج عنه في تحلية المشروبات والمأكولات الأخرى التي يستخدم بها .

و الجصة من الناحية المعمارية عبارة عن بناء صغير يقارب ارتفاعه ارتفاع قامة الإنسان أو أطول قليلا و له باب صغير مرتفع عن مستوى الأرض بارتفاع يتراوح ما بين 90 – 1.20 متر، و يستعمل في تخزين التمور، وللجصة ثقب يسيل منه الدبس إلى حفرة صغيرة تسمى **المدبسة** بقدر دخول المغراف الكبير فيها وكان يوضع على التمر حصيرة توضع عليه حجر يضغط على التمر فيخرج الدبس من الفتحة الذكورة إلى المدبسة .

وغالبا ما توضع الجصة في الدور الأرضي ويرجع ذلك لسهولة تخزينه في هذا الدور، وللرغبة في التخفيف عن السقف، و لم يمنع ذلك من إنشاء بعض الجصص في الطابق العلوي حيث اشتملت بعض الدور على نماذج تؤكد ذلك، ويلاحظ أنّ هذه الجصات بهذه الدور صغيرة الحجم نسبيا حتى لا تشكل ثقلا على السقف، كما أنّ بعضها أنشئ في الساباطات التي تعلو الطريق.

و هناك بعض الجصات التي لا يعلوها سقف و تسمى محليا "منشر"، وتبنى الجصة غالبا في أحد أركان إحدى القاعات الداخلية التي تستخدم في أغراض المعيشة، ويختلف حجمها من دار إلى أخرى و حجمها في المتوسط(1.5 x 1.5)متر مربع، و يأخذ ركنها الخارجي شكلا مقوسا وتجصص من الداخل حتى تتأثر جدرانها برطوبة التمر و لا يتأثر التمر بمجاورته لهذه الجدران

المحصصة، كما أنّه يسهل تنظيف مثل هذه الجدران المحصة. وتميل أرضية الجصة فيسيل فيها الدبس و يؤخذ عن طريق هذه الفتحة ليستخدم في أغراض التغذية المختلفة.

وللجصة على ارتفاع ما بين 90 – 1.20 متر باب خشبي عبارة عن مصراع صغير مربع أو مستطيل الشكل يستخدم في تخزين التمر كما يمكن الدخول منه إلى الجصة لتنظيفها وقت الحاجة ونظرا لارتفاع هذا الباب وحتى يسهل تخزين البلح في الجصة من خلاله وأيضا أخذ ما يحتاج إليه من البلح عمل درج مكون من درجتين أو ثلاث أمام هذا الباب تساعد على سهولة استخدام باب الجصة سواء لتخزين البلح أو الأخذ منه .

- الرحى:

الرحى من مرافق الدار وكانت تستخدم في طحن الحبوب التي يصنع منها الخبز، كما أنّ هناك أنواع خاصّة تستخدم في جرش الحبوب لأغراض مختلفة كتكسير الحبوب تكسيرا بسيطا لاستخدامها في تغذية الطيور أو الحيوانات الصغيرة. وهذا النوع الأخير من الرحى يسمى **مجرشة**.

وتتكون الرحى من قرصين حجريين السفلى منها ثابت، ويدار العلوي عليه بواسطة عصا مثبتة به وبالقرص العلوي فتحة يلقى من خلالها الحب. ورحى جرش الحبوب لا ينطبق شقيها أحدهما على الآخر تمام الانطباق بل توضع بينهما قطعة خشبية صغيرة تسمى **التبرقة** فتصبح هناك مسافة بين القرصين " نحو ربع سنتمتر " فلا تطحن الحبوب بل تجرش و تصير جريشا. والرحى اليدوية التي توجد بالدور أبسط أنواع الرحى إذا ما قورنت بالرحى التي تديرها البهائم أو تلك التي تدار بالماء. ولذلك فإنّ ما يمكن أن تسببه من أذى لجدران الدار أو جدار الجار محدودا .

ويبدو أنّه كان لإنشاء أرحاء عامة في قاعة خاصة من شمال شرق **سدوس** أثر على قلة عدد النماذج التي بقيت في هذه الدور.

ونسجل على مواضع هذه الأرحاء في هذه الدور الملاحظات الآتية :

- أن الرحى في كل دار من هذه الدور تقع في الدور الأرضي، ويتوافق ذلك مع ثقل وزنها و ما قد تسببه من ضرر أثناء دورانها إذا ما وضع في الطابق العلوي. حيث أنّ السقف والجدران قد يتأثرا لذلك فضّل وضعها في الدور الأرضي.

- يلاحظ أنّها وضعت في أحد أركان الباحات أو القاعات الداخلية المستخدمة في أغراض المعيشة اليومية بعيدا عن عيون الداخل والخارج من الدار. ويتناسب ذلك مع الرغبة في تحقيق الخصوصية لنساء الدار اللاتي يستخدمنّ هذه الرحى في طحن الحبوب أو جرشها.

2. المسكن التقليدي في صنعاء[1]:

تقع صنعاء في منتصف الجزء المرتفع من اليمن، فتقع على ارتفاع 2350 مترا (9600 قدم) عن مستوى سطح البحر، لذلك فانّ معدل الحرارة يتراوح بين 12 درجة مئوية ليلا و30 درجة مئوية نهارا في فصل الصيف، أمّا في فصل الشتاء فمعدل الحرارة يتراوح بين 22 و25 درجة مئوية نهارا و بين 2 و6 تحت الصفر في الليل .

1.2. مواد البناء : يبنى البيت التقليدي المتعدد الطوابق من بلوكات الحجر البازلت المنحوت بعمق 0.50 متر من سطح الأرض ومتر فوق سطح الأرض ، وتتكون الحوائط الخارجية لكل من الطابقين الأرضي و الأول من الحجر الجيري مع وجود بعض الأحجار السوداء في أركان المبنى، و يسوى السطح الخارجي للحجر أو الفراغات الداخلية للحوائط بخلطة من الطين وكسر الحجارة، أمّا الطوابق من الثالث وحتى السادس فتبنى من الطوب الطيني المحروق.

2.2. التنظيم الفراغي للمسكن : يؤدي المدخل إلى صالة كبيرة بارتفاع دورين لا تحتوي على شبابيك و حولها غرف في مستويين، تستخدم الغرف السفلية بالمستوى الأرضي كأماكن لتربية الحيوانات، أمّا الغرف العلوية بالمستوى الأول فتستخدم كأماكن لتخزين الدقيق والحبوب و الخضروات المجففة و يستخدم أحد الأركان في عمل طاحونة يدوية، ويوجد سلّم شديد الانحدار ذو درجات مرتفعة يؤدي إلى الديوان وباقي الغرف الموجودة بالمستوى الثالث وحتى السطح.

---

[1] - محيي الدين سلقيني ، العمارة البيئية ، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، سنة 1994 ، ص 178 – 180.

والديوان عبارة عن غرفة كبيرة للاستقبال وتستخدم في الاحتفالات و المقابلات العائلية ويقع الديوان غالبا في الاتجاه الجنوبي لكونه دافئا في الشتاء بالإضافة إلى العديد من غرف المعيشة (كالنوم والطعام و هي الأكثر خصوصية) الموجودة بمختلف أدوار المسكن حتى سطح المسكن حيث يوجد "المفرج " والذي تتراوح مساحته مابين 12-18 مترا مربعا، ويقتصر استخدامه على صاحب البيت وضيوفه الخصوصيين، ويعتبر الديوان والـــمفرج أكثر غرف المعيشة ثراء في أثاثهما وزخرفتهما .

ويلاحظ من التقسيم السابق للمسكن متعدد الطوابق أن الأدوار الأرضية من المسكن خصصت للخدمة العامة وكجناح استقبال، أمّا الأدوار العلوية فقد خصصت للحياة العائلية الخاصة ، أي كلّما اتجهنا لأعلى كلّما زاد معدل الخصوصية أي أن المصمم قد وفر الخصوصية عن طريق اختلاف مناسب الاستعمال وليس عن طريق الفصل الأفقي بين الاستعمالات الموجودة في المنسوب نفسه، كما نرى على سبيل المثال في حالة المسكن القاهري القديم.

3.2. الواجهات والفتحات: تتميز المساكن التقليدية اليمنية بارتفاع أدوارها ما بين خمسة وتسعة أدوار، وتقلّ في واجهاتها البروزات، أو ربما تنعدم تماما، وتتلاحم المباني على طول الشوارع بحيث تمثل في مجموعها حائطا ضخما، وتطلّ أغلب المباني من واجهاتها الخلفية على حديقة أو بستان كبير، حيث تحوّل الفناء في منازل صنعاء إلى حديقة خارجية تفتح عليها المنازل، و الشائع في بيوت صنعاء الحوش الذي يحيط بالمترل من جميع الجهات، خاصة في بيوت أعيان المدينة .

ويبنى الجزء السفلي من المسكن و أحيانا حتى 13 م بالحجر الأبيض و يبلغ سمك الحائط ما يقارب من المتر، ويكون هذا الجزء عديم البروز و الفتحات باستثناء باب المدخل وبعض المخرمات العلوية اللازمة للإنارة و التهوية. أمّا الجزء العلوي من الحائط فغالبا ما يبنى من الطوب المحروق المزخرف بمداميك من الطوب أو الحجر البارز، و تدهن هذه المداميك أو العناصر الزخرفية باللون

الأبيض، و يلاحظ أن الزخارف استخدمت على هيئة أشرطة أفقية لتحديد مناسب للأدوار، وكلما ارتفعنا زادت الزخارف .

أمّا الفتحات بالواجهات فقد تنوعت و تغيرت أحجامها، ويمكن تقسيم هذه الفتحات إلى :

* فتحة باب المدخل بعرض يتراوح بين 1.20 و 1.40 متر وارتفاع منخفض نسبيا يتراوح بين 1.60 و 1.80 م و تعلوها فتحات صغيرة تسمح بدخول الهواء والإضاءة، ويوجد في باب المدخل عنصران مهمان هما المدقة والمجر : والمدقة عبارة عن قطعة حديدية صغيرة تتكون من جزأين أحدهما ثابت و الآخر متحرك، وهما مثبتان في منتصف الجزء العلوي للباب ليطرق عليه القادم لزيارة المسكن، أمّا المجر فهو ثقب في الجزء العلوي للباب به خيط يرتبط بمزلاج الباب وموصل لجميع أدوار المسكن عن طريق ثقوب رأسية في أسقف الأدوار المختلفة يخترقها هذا المجر، وذلك لفتح الباب من أي دور، نظرا لكثرة عدد طوابق المسكن، مع وجود نوافذ للمراقبة لمعرفة الطارق .

* تتنوع النوافذ في شكلها وحجمها وزخارفها، فهي إمّا نافذة تعلوها قمرية نصف دائرية أونافذة تعلوها قمرية مستطيلة، أو نافذة تعلوها قمريتان دائريتان، ووظيفة القمرية المصنوعة من مادة الجص أو الزجاج هو إدخال الإضاءة ، و يلاحظ وجود جزء بارز من الخشب يسمى "الكنة " لحماية النوافذ من الأمطار وهذا النوع يستخدم في الأدوار العلوية.

* أمّا المشربيات فهي عبارة عن نافذة بارزة عن الحوائط الخارجية بمقدار من 0.70 الى 0.90 متر ومثبّتة من الأسفل، وغالبا ما تصنع من خشب الطنب البلدي ووظيفتها التهوية وإمكان الرؤية من الداخل إلى الخارج فقط، و بصورة أساسية من خلال فتحة في قاعدة المشربية السفلية .

* أما فتحات مبرد المياه فهي تتمثل في نافذة صغيرة بارزة عن الحائط الخارجي ومبنية من الطوب أو الحجر، وترتكز على كابولي خشبي وهي ممتدة بحيث يسمح للتهوية من ثلاث جهات (الأمامية و الجانبيتين)، حيث يستخدم لتبريد المياه بوضعها في أوان مسامية، فتساعد التهوية على

عملية البخر من السطوح المسامية وبذلك تؤدي إلى التبريد المطلوب، كما يستخدم هذا العنصر لحفظ اللحوم، لذلك فهو يوضع بالواجهة الشمالية، أي أنّه يقوم بوظيفة الثلاجة بالمنازل العصرية.

* بالنسبة إلى فتحات دورة السطح فهي فتحات معقودة من الطوب المحروق بداخلها فتحات صغيرة لإمكان الرؤية من الداخل إلى الخارج فقط، حيث يصل ارتفاع هذه الفتحات لحوالي 1.50 م لتوفير الخصوصية للنساء خاصة عند نشر الغسيل.

* أما الشاقوص فهو فتحة صغيرة لتهوية الغرف توجد في منسوب عال و لها غطاء داخلي، ويزداد اتساع الفتحة كلّما اتجهنا للداخل، أمّا وظيفتها فهي إخراج الهواء الفاسد و الأدخنة من الغرف، أي أنّه يقوم بدور مروحة الشفط في المترل الحديث .

4.2. أسلوب الصرف الصحي بالمسكن: بالنسبة إلى الفضلات السائلة فيتم توفير مجار أرضية لها تخرج من خلالها لأسفل على سطح معزول مدهون بالجير ، وغالبا فإنها تتبخر قبل أن تصل للأرض، أمّا الفضلات الصلبة فتترل لأسفل على حجر مائل للخارج حيث تجف بسرعة بعد نزولها في غرفة مخصصة لذلك، وقديما كانت تجمع الفضلات الصلبة وتستعمل وقودا، خصوصا للحمامات العامة، وتستخدم كسماد في بعض المناطق الأخرى.

الفصل الثاني

المسكن التقليدي في المغرب الإسلامي:

1. المسكن التقليدي من خلال دار الحضري بتونس[1]:

تمثل دار الحضري أجمل النماذج المعمارية المدنية في المدينة العتيقة بتونس في الفترة الحفصية (ق12م – ق16م) واستمرارا إلى الفترة التركية.

وتقع دار الحضري في المنطقة العتيقة لعاصمة السلطان والدايات والبايات، وهي توجد في الحياء الأكثر أهمية وطلبا من قبل العائلات التونسية الغنية، فهي تقع بين شارع " تربة الباي" وشارع الأندلسيين.

1.1. الوصف الخارجي:

إنّ الخصوصيات المعمارية لدار الحضري في كونها مسكن كبير لأحد الأغنياء، وواجهة الدار تطل على شارع الخزينة المالية، وهي عالية الجدران بيضاء، ويوجد بهذه الواجهة بابين: باب رئيسي تصميمه من الطراز الحفصي، ونلاحظ عليه التأثير الأندلسي من خلال الطبطابتين، والأثر الروماني من خلال إحاطته بالحجارة المنحوتة، وفي أعلاه فتحة للتهوية.

وباب ثانوي في نهاية الجهة للخدم والحيوانات وإدخال الحمولات المختلفة. أمّا واجهة الطابق الأرضي فلا يظهر عليها أيّة نافذة.

2.1. الوصف الداخلي:

*** المدخل:**

بعد المدخل الرئيسي والذي يسمى (باب الدار) ندخل إلى بهو يسمى (الدريبة) يوجد به دكة وسقفه مزيّن بزخرفة بارزة، ما يجعله مدخلا جميلا رغم ضعف إنارته لأنّه لا يوجد إلاّ فتحة فوق المدخل الرئيسي، ويمكن أن يستقبل صاحب الدار في هذا المكان بعض ضيوفه.

وينتهي هذا البهو برواق عمودي عليه يسمى (السقيفة) يشكل لنا مدخلا منكسرا للدار، وهذا المدخل نجده في أغلب المساكن الإسلامية سواء في القاهرة أو الجزائر أو فاس أو الرباط.

---

[1] - Groupe de recherches et d'études sur le Proche-Orient, (Jacques Revault), l'habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la méditerranée (l'héritage architectural : formes et fonctions), publication de l'institut français d'archéologie orientale , le Caire, 1988, p 111-122.

* الفناء:

في دار الحضري يعتبر الفناء المركزي لها من أجمل الأمثلة للعمارة المدنية بالنسبة للطراز الحفصي التركي نظرا للاستعمال التقليدي للحجارة المصقولة والتي تضفي على بنائها أناقة وجمالا. وبالفناء ثلاثة أروقة في أعلاها أسكوفة مستقيمة وترتكز على أعمدة تشكل لنا تسعة عقود حدوية. ويترك لنا هذا الفناء فسحة للنظر إلى السماء.

ووحدة اللون الرمادي الفاتح للحجارة شكّل تناسقا رائعا مع سقف الأروقة، والألوان التي نجدها غالبا في الفناء اللون الأحمر والصفر والأخضر، أمّا ألوان الغرف فكانت تختلف حسب الذوق.

* غرف المسكن:

يرافق الأروقة الثلاثة السفلية ثلاث غرف تتوزع على جهة الشمال والجنوب والغرب، أمّا في الشرق فنجد بهو المدخل (السقيفة).

الغرفة الرئيسية والتي تسمى (ببيت رأس الدار) والمخصصة لاستقبال الضيوف والأقارب، وغرفة على شكل (T) وبجوارها غرفتين متناظرتين طويلتين وسقفهما مرتفع.

أمّا نوافذ الغرف فهي تطل على الفناء لإدخال الهواء والضوء، وتتشابه هذه الغرف في شكلها، وتحتوي كل واحدة منها على سرير مبني.

أمّا بين سقيفة المدخل والسلم الموصل إلى الطابق العلوي يوجد دورة المياه وهو مكان مخصص لقضاء الحاجة والوضوء إلى جانب حمام عائلي. ويجد إلى جانب الغرف في الطابق السفلي غرفة الخدم ومكان مخصص للحيوانات.

وفي الطابق العلوي للدار يوجد كذلك ثلاث غرف فوق غرف الطابق الأرضي، والغرفة الوحيدة التي كانت تطل على الشارع الرئيسي وبها نافذة للنظر إلى الخارج كانت ممنوعة على النساء.

وإذا نظرنا إلى غرف الطبق الأرضي والعلوي سوف نجدها تختلف في شكل أبوابها، ففي الأعلى حافظ مدخل الباب على العقد الحدوي والمنتهية أطرافه بتيجان تشبه النمط المغربي، أمّا في الأسفل فمداخل الأبواب تعلوها أسكوفة مستقيمة وأبوابها على الشكل المطوي المعروف في تونس منذ القدم.

وتوزيع الغرف في دار الحضري بين الطابق السفلي والعلوي يترك لساكنه اختيار المكان الأنسب لراحته خلال كلّ فصل، فالغرف في الطابق العلوي وأروقتها تصلح لالتقاط دفء الشمس في فصل الشتاء، أمّا ففي فصل الصيف فتكون الغرف السفلية الأنسب لبرودتها ورطوبتها إلى جانب القبو الذي كان يستعمل كذلك للراحة من حرارة الصيف الشديدة.

وكانت تستعمل الغرف في الطابق السفلي عادة للاجتماع العائلي واستقبال الضيوف والأصدقاء.

*** التزيين المعماري:**

إنّ الواجهة الخارجية للدار وواجهة فنائها زيّنت بالحجارة المصقولة إلى غاية مستوى تبليط الأرض، وبعيدا عن تيجان الأعمدة لا توجد زخرفة مميّزة إلاّ ما يجد في محيط الباب من زخرفة هندسية ونباتية زهرية على النمط التركي.

أمّا العناصر التزيينية التي ترافق الحجارة المصقولة للجدران فهي محدودة، فنجد مثلا دائرة من الرخام ذات لون أسود بوسط الفناء وكذلك في عقود الأروقة.

أمّا أرضية الغرف والفناء والأروقة والسلم فتمّ تبليطها بزلّيج ملوّن أضفى عليها جمالا وتناسقا بألوانه البيضاء والسوداء وأخرى بيضاء وزرقاء.

وإذا نظرنا إلى السقف فهو مزيّن بزخرفة جصّية تظهر فيها الأشكال الهندسية أو الأزهار، وهي أشكال الزخرفة التي قدمت من اسبانيا المسلمة. كما زيّن القرميد حواف سقف الأروقة في الطابق العلوي.

2. دار عديّل بفاس[1]:

1.2. نبذة تاريخية عن مدينة فاس:

يرجع تاريخ تأسيس مدينة فاس إلى نهاية القرن الثامن الميلادي إبان مجيء المولى إدريس الأول إلى المغرب سنة 789م، حيث بنيت النواة الأولى للمدينة على الضفة اليمنى لوادي فاس بحي الأندلسيين. وفي سنة 808م أسس إدريس الثاني مدينة جديدة على الضفة اليسرى لوادي فاس بحي القيروانيين نسبة إلى أصل ساكنته المنحدرة من القيروان بأفريقية.

---

[1] – Groupe de recherches et d'études sur le Proche-Orient, (Jacques Revault), l'habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la méditerranée, Ibid , p. 265-274.

وكانت عدوة الأندلسيين محاطة بالأسوار، تخترقها ستة أبواب ولها مسجد جامع. وفي المدينة القديمة المقابلة قام إدريس الثاني كذلك ببناء سور ومسجد بالإضافة إلى قصر وسوق.

وقد عرفت فاس في هذا العهد انتعاشا اقتصاديا وعمرانيا منقطع النظير لتواجدها في منطقة سهل سايس الخصبة، ولتوفرها على موارد متعددة ومتنوعة ضرورية للبناء كمادتي الخشب والأحجار المتفرة بغابات ومقالع الأطلس المتوسط القريب، بالإضافة إلى وفرة الملح والطين المستعمل في صناعة الخزف.

تحظى فاس بموقع استراتيجي مهم باعتبارها ملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب خاصة تلك التي كانت تربط سجلماسة بشمال المغرب. كما شكّلت ساكنة المدينة خليطا من أمازيغ الأطلس المتوسط والقيروانيين والأندلسيين واليهود الذين ساهموا في تطورها العمراني والاقتصادي والثقافي.

وفي سنة 857م قامت فاطمة الفهرية بتشييد جامع القرويين بالضفة اليسرى لوادي فاس الذي تمّ توسيعه فيما بعد من قبل يوسف بن تاشفين المرابطي بعد استيلائه على المدينة سنة1069م، كما عمل على توحيد الضفتين داخل سور واحد وساهم في إنعاش الحياة الاقتصادية ببناء الفنادق والحمامات والمطاحن.

وبعد حصار دام تسعة أشهر، استولى الموحدون على المدينة سنة1143م. تحت حكم الدولة المرينية عرفت مدينة فاس عصرها الذهبي إذ قام أبو يوسف يعقوب ببناء فاس الجديد في سنة 1276م حيث حصنها بسور وخصّها بمسجد كبير وبأحياء سكنية وقصور وحدائق.

وبعد فترة طويلة من التدهور بسب القلاقل التي عرفتها البلاد، احتلّ السعديون المدينة سنة 1554م، وقد خصّوا المدينة ببعض المنجزات الضخمة كتشييدهم لأروقة جامع القرويين وعدد من القصور وترميم أسوار المدينة وبناء برجين كبيرين في الجهتين الشمالية والجنوبية لمدينة فاس.

ونتيجة للاضطرابات التي عرفتها الدولة السعدية انقسمت فاس إلى مدينتين: فاس الجديد وفاس البالي.

2.2. موقع الدار:

تعتبر دار عديّل من المنازل العتيقة بمدينة فاس البالي بالمغرب، وهي تقع بين حومة سيدي نالي بحي زقاق البغل من عدوة القرويين بفاس.

وما يلاحظ في هذا الحي كثرة المباني الدينية والمتمثلة في عدّة زوايا كزاوية سيدي أحمد الشاوي وزويتن وغيرهما.

3.2. مؤسس الدار:

شيّدت دار عديّل بمدينة فاس، حاضرة الإسلام العريقة في المغرب في أواخر القرن السابع عشر الميلادي على يد أحد تجار المدينة " عبد الخالق عديّل " الذي عيّن حاكما لفاس أو عاملا عليها في عهد السلطان مولاي عبد الله المتوفي في (27 ذي القعدة 1158 هـ/21 ديسمبر 1747م). وتقع هذه الدار وسط عدد من الدور الضخمة التي كان يملكها أعيان فاس.

4.2. تاريخ ووظائف هذه الدار:

في مراحل تاريخية متعاقبة صارت الدار وقفا من الأوقاف، ثمّ وظّفت لدار السكّة ولختم الحليّ والفضة والذهب، ثمّ حوّل بيتا لخزينة الدولة (بيت المال). وفي عهد الحماية الفرنسية اختير في العام 1913م مقرا لمفتشية الفنون الأهلية، مع تخصيص جانبه الغربي لجمع التحف النفيسة. وفي العام 1915م حوّل إلى مدرسة للبنات المسلمات ومن ثمّ صار معهدا للموسيقى، وأخيرا هجر نتيجة تصدع بعض أجزائه.

أولى محاولات الترميم التي عرفتها الدار كانت بين عامي (1961م – 1917م) ومسّت مدخلها الرئيسي والأرضية والسقوف وخاصة سقوف طابقها العلوي. وفي العام 1981م أجريت لها عمليات ترميم موسعة هدفت في مجملها إلى تثبيت وتقوية طابقها الأرضي المكسو بالزلّيج وقطع من الجصّ المنحوت. وقد اكتشفت شقوق واضحة في الدار سبّبتها تسرّبات المياه المستعملة ومياه الأمطار، كذلك أصيبت الواجهات الأمامية هي الأخرى بتصدعات وشقوق متباينة نتيجة تآكل بعض أعمدة الدار.

وانطلاقا من هذا التشخيص لوضعية الدار بوشرت عمليات الترميم بدءً من تقوية أعمدتها الداخلية المتآكلة وربط فضاءات الدار بعدّة أعمال ترميمية أعادت جمالياتها المألوفة، وفي سنة 1999م تمكنّت الدار من استعادة بريقها كمعلم تاريخي في مدينة فاس.

5.2. الوصف الخارجي:

تظهر أهمية دار عديّل من خلال الباب الكبير للمدخل والذي يوجد به باب صغير يسمى (الخوخة) وهو ما يميّز الأبواب التقليدية الخارجية.

وعلى الجهة اليمنى للمدخل وعلى طريق سيدي نالي يوجد ورشة في مكان إسطبل كان يستعمل قديما في دار عديّل. لا يوجد في الواجهة الخارجية نوافذ إلاّ نافذتين صغيرتين بالجهة الغربية مطلة على على درب سيدي نالي، تدخل نورا خافتا إلى الدار

6.2. الوصف الداخلي للدار:

- **المدخل:**

عند الدخول بهو الرواق، يسارا يوجد باب موصول بسلم يوصلنا إلى بيت تسمى: (مصرية). وهذا الرواق المنكسر ينتهي بباب خشبي ذو فلقتين مزيّن بمسامير على جوانبه، أمّا سقف المدخل المنكسر فمزيّن بنقوش جصّية على محيطه.

- **فناء الدار:**

عند الدخول إلى الفناء نلاحظ أنّ الدار تتكون من طابق أرضي وآخر علوي ينظمان حول فناء فسيح محاط بأروقة من جوانبه.

أرضية الفناء مكسوة بمربعات الزلّيج والتي هي على شكل الشطرنج، مزيّنة باللون الصفر والخضر والأسود والأبيض. ويتوسط الفناء نافورة (خصّة)، أمّا أروقة الفناء فمحمولة على عشرة أعمدة (السواري) مضلعة ملساء في أسفلها وتيجانها (راس سواري) مربعة ومزخرفة بزخرفة نباتية.

كلّ رواق مفتوح على الفناء بثلاثة مداخل: واحد في الوسط واثنين على الجانبين أقلّ منه علوا.

وفي الجهة الجنوبية للدار توجد حنفيتين حائطيتين (سقاية) متقابلتين، تصبّ كلّ واحدة في صهريج مستطيل مبني ومزيّن بالزلّيج وفي أعلاه عقد مزخرف. ويظهر في الفناء الأعمدة التي تحمل أروقة الطابق العلوي.

- **غرف المسكن:**

إنّ تقسيم الفضاءات داخل الدار في ذلك العهد كان خاضعا لشروط ثقافية واجتماعية كانت الأسر الفاسية أسيرة لها خلال القرن السابع عشر الميلادي.

فكانت دار عديّل تتكون من ثماني غرف تتوزع بالتساوي على الطابقين الأرضي والأول. وهي غرف مستطيلة الشكل ذات أبواب ضخمة تعلوها عقود مزخرفة بزخرفة نباتية، أمّا أرضية هذه

الغرف فهي مكسوة بقطع الزلّيج المستطيلة والمزيّنة باللّون الأبيض والأصفر والأسود والأخضر. وفي مدخل كلّ غرفة توجد قطع زلّيج مختلفة الشكل عن الداخل.

ويربط الطابقين سلمان خصص الأول لأفراد العائلة، ووظف الثاني للضيوف. ومن بين مرافق الدار الأخرى الهامّة ما يعرف بـــ " الدويرية " التي تحتل موقعا هاما في الزاوية الشمالية الشرقية للدار وتوظف عمليا للطبخ والأشغال المترلية ويؤدي إليها رواق متعرج.

وهناك دار " التخزين " ودور " الخدم " وهي تستقطع حيّزا من الطابق السفلي بمحاذاة الإسطبل، وترتبط هذه الدور بالطابق العلوي بسلمين سميكين صنعا من قطع خشبية صلبة، بيد أنّ الصعود على سطح الدار لا يتم إلاّ من خلال سلّم وضع في الجانب الشرقي ويتكون من عدد من الأدراج الخشبية وعوارض مغطاة بطبقة من البلاط وارتفاع كلّ عارضة 40 سم.

وقد روعي في بناء هذا السطح التقاطع الهندسي المنحرف إلى الشمال، كي يمكن تصريف المياه إلى خلف الدار، لتفادي ما يمكن أن تحدثه مياه الأمطار من خلل تركيبة السطح ذاته.

وفي أقصى الجهة الجنوبية للدار يوجد قبو موصول بسلّم صغير، وقد ظهرت عليه شقوق سببتها المياه المستعملة ومياه الأمطار.

3. المسكن في مدينة تلمسان:

إنّ البناءات القديمة في الجزائر تمثل 30 % من مجموع المباني، 17 % منها بنيت في عهد الاحتلال الفرنسي، و13% منها تعتبر بنايات تاريخية يعود بناؤها إلى فترات مختلفة من العصر الوسيط[1].

إنّ الحديث عن السكن والمساكن في مدينة تلمسان في العصر الوسيط يتطلب نصوصا تاريخية ووثائق عن الخطط، ويتطلب حفريات وتنقيب ميداني إلا أنّها غير متوفرة بالشكل الكافي، إلا إنّ بعض الأخبار الواردة في بعض المصادر المتعلقة بتاريخ تلمسان وحضارتها، فضلا عن كتب الخطط الخاصة بمدن مغربية كفاس ومكناس وغيرها تسمح بتكوين فكرة عامة عن المسكن وأنواعه في مدينة تلمسان، لأنّ العمارة الإسلامية متشابهة تحكمها ضوابط مشتركة، ويبدو أن الشيء الذي تميزت به مدينة تلمسان في هذا العهد كغيرها من الحواضر الكبيرة في المغرب الإسلامي هو عدم

---

[1] - حميد عزوز (مدير الهيئة الوطنية لمراقبة تقنية البناء) ، تسيير وصيانة العقار ، حصة تلفزيونية (في الصميم) ، بتاريخ : 06/10 /2008 .

وجود أحياء سكنية خاصة بالفقراء وأخرى خاصة بالأغنياء، وإنّما كانت دور الأغنياء ومنازلهم إلى جانب مساكن الفقراء.

وكان نمط المسكن أو القصر يخضع إلى المستوى الاجتماعي والمالي للأسرة التلمسانية، فالطبقة الميسورة تبني دورها من عدة طوابق وبمواد بناء رفيعة، بينما الأسرة الفقيرة تكتفي في الغالب بالطابق الأرضي وبمواد بناء وأدوات تجميل بسيطة. والمترل التلمساني مربع الشكل في غالب الأحيان، لا يكتسي أيّ مظهر جمالي من الخارج، ليس له نوافذ مفتوحة على الشارع، وإن وجدت فهي نوافذ صغيرة لا تعترض الحريم من الرؤية إلى الخارج، فكانت نوافذ الغرف تطل على فناء المترل، ويكون باب المترل مصنوعا من الخشب المتين تزينه مسامير حديدية، ومقرعة يقرع بها الزائر الباب قبل الدخول.

أما من الداخل فإنها تشتمل على كثير من مظاهر الزينة والزخرفة والراحة، يشتمل على رواق أو ممر ضيق يربط الباب بالفناء الذي يتوسط المترل، وكذلك الأبواب كالنوافذ تفتح جميعها على الفناء ليدخل إليها الهواء والضوء، ويعتبر الفناء المكان المفضل لجلوس العائلة في فصل الصيف، وتجد ممرات تصل الغرف ببعضها مغطاة غالبا بالخشب الرفيع المنقوش خاصة في بيوت الطبقة الميسورة. وتشتمل المنازل على أعمدة جميلة بتيجانها، يرتكز عليها السقف وينتهي أعلاها بأقواس فيها عدد من المقرنصات مما يدل على أنّ صاحبها من ذوي المال، وكانت جدران منازلهم السفلى يكسوها الزليج الملون، وأرضها مبلطة بالرخام، ويزيّن وسط المترل نافورة أنيقة يخرج منها الماء لتلطيف الجوّ، ويكون المطبخ في الدرج والمحلات الخاصة في زاوية المترل، يأتيها الضوء والهواء عن طريق فتحات ضيّقة وصغيرة.

وتحتوي المنازل والقصور على مراحيض وقنوات لصرف المياه خارج المدينة، وتطلى جدران المنازل عادة من الخارج بالطين المخلوط بالجير.

يتميز البيت التلمساني في العصر الوسيط بالغرفة الواسعة ويزيّن سقفه بالخشب المنقوش لدى أصحاب الجاه والمال،وتحيط بسطحه جدران عالية ينشر فيه الغسيل وتجفف فيه الفواكه، وجرت العادة أن تبنى غرفة في أعلى الدار تدعى العلية تكون مكانا مفضلا لاستراحة النساء، أمّا الأسرة الفقيرة فكان مترلها بسيطا لا يزيد عن الدور الأرضي، وكانت عادة تبنى بالحجر والطوب وتغطى بالقش والطين، وكانت المنازل تقترب من بعضها البعض. ويتميز أهل تلمسان بحرصهم على غرس الأشجار المثمرة والزهور في وسط المنازل وحولها، ولاسيما شجر الكروم والتفاح

والإنجاص، كما هو في بيت ابن مرزوق. وقد قال جورج مارسي:" لم أكن أحبّ من تلمسان اللون والمناظر الكبيرة الكلاسيكية فحسب، بل كذلك المباني الجميلة والفخمة الشاهدة على مآثر المدينة القديمة "[1].

ويتم بناء السقف بمد الخشب المحكمة النجارة فوق الجدران ثمّ يوضع فوقه الألواح، وبعدها يصب التراب والكلس ويبسط، وقد انفرد ابن خلدون بالحديث عن زخرفة الجدران داخل البيوت والغرف، بحيث كانت تزيّن الجدران السفلى بالزليج، وبالجبس أو تكسى بقطع الرخام والخزف، وتنظم في أجزاء متناسقة، و لم يغفل ابن خلدون عن توضيح جانب مهم في البناء وطرق معالجته: "إنّ بناء جدران المنازل كان يتم بالحجارة في الغالب الأعم ويلحم بينها بالكلس، ويعالي عليها بالأصبغة والجبس "[2].

وللحفاظ على مدينة تلمسان العتيقة بمبانيها السكنية ومساجدها وأضرحتها ومدارسها وأحيائها ودروبها، فقد شكلت سنة 2000م لجنة معاينة الآثار وطرق صيانتها وترميمها وقد اعتمدت في دراستها على منهجية خاصة تقوم على ما يلي:

- بيانات معمارية دقيقة.
- تصوير فوتوغرامتري.
- دراسة أرضية الموقع.
- دراسة اختلال المباني.

وعلى ضوء التحقيق والمعاينة قامت اللجنة بتقديم توصيات للجهات الوصية وبذلك بالإسراع في التدخلات الاستعجالية نظرا لتدهور حالة بعض المباني قصد حمايتها وترميمها[3].

---

[1] - جورج مارسي ، تلمسان – مدن الفن الشهيرة – ترجمة سعيد دحماني ، Edition du Tell ، ص 71 .

[2] - أنظر عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج(1) ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط (2) ، سنة 2002، ص 119- 120.

[3] – Rapport final (Plan d'occupation du sol – Medina de Tlemcen -) , Agence nationale d'aménagement du territoire (ANAT), Mars 2001 , p 171.

الفصل الثالث

دراسة وصفية للنماذج المختارة:

1. الإطار الجغرافي:

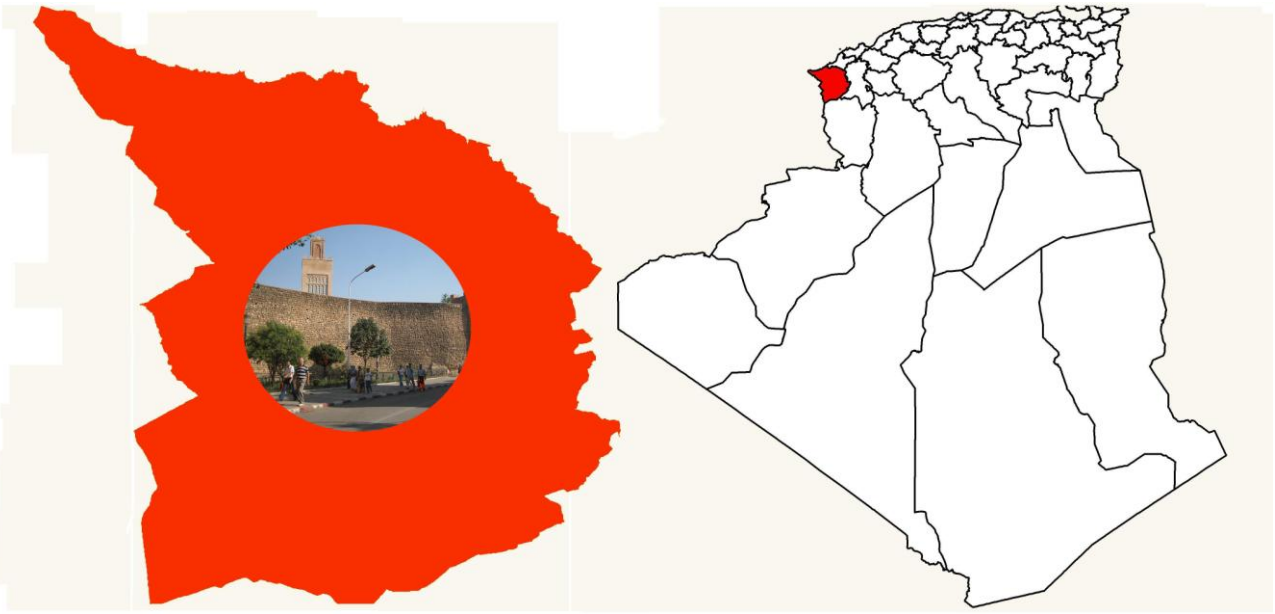

لوحة رقم (1) موقع مدينة تلمسان على خارطة الجزائر الجغرافية

لوحة رقم (2) منظر عام لمدينة تلمسان من أعالي لالة ستي

تعتبر تلمسان من أهم المدن الجزائرية التي لعبت دورا بارزا في الحضارة الإسلامية،فلقد كانت بمثابة مركز إشعاع علمي وحضاري، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب المؤرخين والجغرافيين من ذكر مدينة تلمسان، وهي تقع في أقصى الغرب الجزائري، وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 700 كيلومتر، وعلى مقربة من الحدود الجزائرية المغربية، ومساحتها تقدر بحوالي (75كم**2**).

و تعتبر ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى، وترتفع مدينة تلمسان عن سطح البحر بنحو 830 م وتبعد عنه بنحو 60كلم[1].

وقد جعلها هذا الموقع الاستراتيجي الرائع مركزا مهما للحرب والتجارة والسياحة والعلم والسياسة. ومكّنها من الانفتاح مبكرا على مختلف التيارات الحضارية والفكرية. دون أن يجنبها أخطار الحملات والتحركات و يقحمها في صراعات وحروب عديدة.

وهي تقع بين خطي طول °1 و°2 غربا وبين خطي عرض °33 و°35 شمالا.

وتعتبر المدينة الوحيدة التي تجمع بين التل والصحراء. وتمتاز تضاريس تلمسان بثراء كبير وتنوع في سطح الأرض من جبال وتلال وسهول وأودية ومناخ جميل ومعتدل، حيث أنشئت على سفح جبل يقيها من ريح السموم الآتية من الجنوب صيفا (السيروكو) و قد بنيت في منطقة تكثر بها أشجار الجوز. وقال ابن سعيد: " والأندلسيون يقولون كأنّها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها".[2]

"وتحتوي تلمسان على أربع سلاسل جبلية تكاد تكون متوازنة هي جبال (تانوشفي) المطلة على سبدو . ثم سلسلة جبال بني إسماعيل (بني صميل) الممتدة من أولاد ميمون شرقا إلى مدينة سبدو غربا. ثم سلسلة جبال رأس عصفور المطلة على سهول مدينة وجدة المغربية. ثم سلسلة جبال لالّة ستّي (جبل شوكة) المشرفة على مدينة تلمسان وفي جنوب جبل الناظور[3].

---

(1) - محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1، 1995 ، ص 25.

(2) - ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2، 1982 ، ص 140.

(3) - محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، مرجع سابق ، ص 30.

يقول المؤرخ يحيى بن خلدون عن تلمسان : « اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسيط أطول من الشرق إلى الغرب عروسا فوق منصة. والشّماريخ مشرفة عليها إشراف التّاج على الجبين »[1].

وبذلك فهي تطل على سهول خضراء واسعة الأرجاء تحدها سلسلة من التلال قليلة الارتفاع فتنتصب فوق تل مرقش يعكس مناظر خلاّبة لأودية التّافنة .

"فتمتاز تلمسان بجودة تربتها واتّساع سهولها وحقولها الخضراء ومياهها العذبة والصالحة للسّقي، مما جعل منها جنة من الجنان تغصّ بالزّروع اليانعة"[2].

فإقليم تلمسان فسيح، ومن أوفر أقاليم المغرب خيرات ورخاء، فهي منطقة سهول وهضاب كثيرة الوديان وافرة الأمطار في الشتاء.

فقد أصاب الخطيب بن مرزوق في قوله عنها : « يكفيك منها ماؤها و هواؤها »[3] أمّا المثل الشعبي فيقول : « تْلَمْسَانْ بْمَاهَا وَ هْوَاهَا وَ تَلْحِيفْهْ نْسَاهَا مَا تَنْصَابْشْ فِي البُلْدَانْ ». فهواء مدينة تلمسان حسب الأخصائيين يساعد على معالجة مرض الربو. فاتكاء تلمسان على كتلة جبلية ذات ارتفاع نسبي مكّنها من الحصول سنويا على كمية معتبرة من الأمطار تزيد الغطاء النباتي وفرة ونوعية، فهي على حد تعبير ابن حوقل: « مدينة أزلية، لها أنهار جارية وأرحية عليها وفواكه، ولها سور من آجر حصين منيع، وزرعها سقي وغلاّتها عظيمة ومزارعها كثيرة»[4].

إضافة إلى ذلك فمناخ البحر المتوسط المعتدل والقاري يسودها ويتميز بحرارته المرتفعة صيفا وبسقوط المطر شتاء، لذا تكثر بالمدينة وأحوازها الينابيع و الآبار السهلة المنال.

كما توجد بها عدة أودية منها وادي الصفصيف، ووادي المفروش الذي يمتاز بشلالات الوريط البعيدة المنظور والتي طالما تغنى بها الشعراء . فلم تكن تلمسان بحاجة لجلب مياه الشرب، إذ استعملت مياه ساقية النصراني المجلوبة من الوريط لتشغيل الأرحية، أما مياه عين الفوارة المجلوبة من هضبة لالا ستي فقد استعملت للسقاية العمومية ولتزويد المحلات بالمياه اللازمة لنشاطها[5].

---

(1) - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، ج1 ، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، مكتبة الوطنية الجزائر ، 1498هـ ، ص 15.

(2) - محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، مرجع سابق ، ص 37.

(3) - نفس المرجع ، ص 39.

(4) - اسماعيل العربي ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 134.

(5) - - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، مرجع سابق ، ص 10.

وتحدث ابن خلدون عن مناخ تلمسان بقوله : « تقع تلمسان في الشمال الغربي من المغرب الأوسط في الإقليم الرابع من الأقاليم الفلكية السبع، وهو يعد من أشدّ الأقاليم اعتدالا في المناخ وأكثرها وفرة للنباتات والحيزان »[1]. الأمر الذي جعل مناخها جافا وملطفا بنسيم البحر المحمول عن طريق التيار الشمالي الغربي، فيصير هواؤها منعشا وصحيا.

إضافة إلى وجود عدة معادن كالحديد والرخام والمرمر الذي صنعت به أعمدة وتيجان المساجد والأضرحة والقبور أثناء القرن الثامن الهجري.

كما يصفها البكري بأنها قاعدة المغرب الأوسط " وهي(تلمسان) مدينة مسورة في سفح جبل شجره الجوز.. وقد جلبوا إليها الماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال، ولها أسواق ومساجد، ومسجد جامع، وأشجار وأنهار عليها طواحين[2].

فالدارس لموقع تلمسان يلتمس عدة عـــوامل طبيعية وأخرى سياسية واقتصادية واجتماعية قد تفاعلت لتعطينا مدينة متكاملة تضج بالحياة والحركة فسكنت لها القلوب وانشرحت لها الصدور، وقد صدق " ابن خميس " عاشق تلمسان مسقط رأسه ومربع صباه حيث قال:

" تِلمْسَانُ" جَادَتْكِ السَّحَابُ الرَوَائحُ وأَرْسَتْ بِوَادِيكِ الرِّياحُ اللَّوَاقِـــحُ
وَسِحْ عَلَى سَاحَاتِ بَابِ جِيَادِهـــــا مَلَتْ يُصَافِي تُرْبَهَا وَيَصْفَـــــــحُ
نَسَيْتُ وَمَا أَنْسَـــى الوَرِيـــطَ وَوَقْفَةٌ أُنَافِحُ فِيهَا رَوْضَةً وَأُفَـــــــاوِحُ
مُطِّلاً عَلَى ذَاكَ الغَدِيرِ وَقَدْ بَـــــدَتْ لإِنْسَانٍ عَيْنِي مِنْ صِفَاهُ صَفَائِـــحُ[3]

2. الإطار التاريـــخـــي:

يقول العبدري : « تلمسان مدينة كبيرة سهلية جميلة المنظر ... بها للملك قصور زاهرات، اشتملت على المصانع الفائقة، والصّروح الشاهقة والبساتين اللائقة ... »[4]

وللموقع أسماء وألقاب، وأول اسم عرف به المكان في الكتب التاريخية وهو الاسم اللاتيني (بوماريا Pomaria) والذي يعني البساتين لكثرة الحدائق والأشجار. وكان الموقع آهلا

---

(1) - نفس المرجع ، ص 84.
(2) - اسماعيل العربي ، المدن المغربية ، مرجع سابق ، ص 134.
(3) - محمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 108.
(4) - ابن صفية ، " حفظ وحماية وتسيير المعالم التاريخية والأثرية في مدينة تلمسان " ، مجلة تلمسان ، عدد (2) ، (من 2 إلى 5 أفريل) ، 1988 ، ص 3.

بالسكان قبل مجيء الرومان، ثم أصبح عبارة عن تجمع سكاني أمازيغي اتخذه الرومان مستعمرة ومركزا عسكريا لحراسة الطريق الرابط بين "ألطاقا " أولاد ميمون ، و" نوميروس " مغنية، أطلقوا عليه اسم " بوماريا "، "ولم يبق من آثارهم إلاّ شيئا قليلا في أغادير وهي عبارة عن قطع حجرية منحوتة موضوعة عموديا على بعضها البعض بدون إسمنت بالقرب من ضريح سيدي الداودي، وطريق معبد بالحجارة كان تتحرك عليه عرباتهم"[1]. وشواهد قبور رومانية أصبحت جزءا من هيكل مئذنة أغادير.

تعدّ تلمسان مدينة عريقة الأصل والتاريخ والحضارة، تعاقبت عليها عدّة دول وإمبراطوريات من بينها الإمبراطورية الرومانية والوندالية والبيزنطية، وأطلق عليها الرومان اســـم « **بوماريا** »[2].

واستمرت المدينة مركز تجمع سكاني بعد الفتح الإسلامي يحمل اسم " **أقادير** " اختصّه "بنـــو يفرن " في منتصف القرن الثامن، وحكمه بعدهم " بنو خزر " إلى أن وفد عليه إدريس الأول فأنشأ بها المسجد في أواخر القرن الثامن، وطوّرها ابنه من بعده.

وأقادير كلمة أمازيغية تعني باللهجة المحلية الحصن أو الصخرة المنيعة، وربما كان مشتقا من لفظ أغادير أي جدار المدينة الحصين[3].

هذا ما أدى إلى تسميتها بالمدينة المحصنة أو مدينة الجدار القديم، وجعل السكان الأقدمين يرون بأنه هو المعني في قصة سيّدنا الخضر التي وردت في القرآن الكريم، وقد أنكر ابن خلدون هذا الرأي بقوله: " ينبغي أن يعتبر هذا النبأ بمثابة أسطورة من صنع أناس فطروا على التحيّز، فيمجّدون مسقط رأسهم كما يمجّدون العلوم التي يدرسونها ويفتخرون بالمهن التي يمارسونها"[4] .

وفي أواخر القرن الحادي عشر للميلاد – الخامس هجري (472 هـــ / 1070 م) غـــزا المرابطون أقادير، فأقام يوسف ابن تاشفين المرابطي مخيمه في غربها ثم استعاض عنها بالبناء، فكان نواة مدينة " **تاقرارت** " وهي كلمة أمازيغية تعني في النطق المحلي المخيم أو المعسكر المحصن.

وكانت " تاقرارت " في البداية مفصولة عن " أقادير" بسور أزيل بسبب التوسع العمراني فالتحمت المدينتان وكونتا " تلمسان " التي اتسع مجالها العمراني في عهد الموحدين. وعندما أسّس

---

(1) - R. P.Théry , Tlemcen (évocation sur son passé) , Tlemcen , 1945 , p : 22.

(2) - محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، مرجع سابق ، ص 57.

(3) - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، مرجع سابق ، ص 20.

(4) - نفس المرجع ، ص 20.

بنو عبد الواد دولتهم سنة 1236 م اتخذها " ياغمراسن بن زيان " عاصمة لهم، " فهو الأب الحقيقي لتلمسان المحررة والمؤسس لتلمسان عاصمة المملكة الزيانية "[1]، وأثناء الحصار الكبير لتلمسان أنشأ "المرينيون " المنصورة غربها في بداية القرن الرابع عشر الميلادي.

وكان اسم تلمسان متداولا إلى جانب الاسمين الآخرين " **أقادير**" و"**تاقرارت**" ما دامت الأسماء الثلاثة المستعملة هي بربرية الأصل، وما دام لفظ تلمسان يشير إلى الجمع بين مدينتين ضمّهما سور واحد، أحدهما أزلية وتعرف بـــ " أجادير " والأخرى بـــ " تاقرارت"[2] . أنظر اللوحة رقم (3).

أما تسميتها " أقادير " : التي تعادل العبارتين : جدار قديم أو مدينة محصنة، فقد أطلقها عليها البربر بعد تفويضهم نفوذ الرومان والوندال واستتاب الأمر لهم فيها. كما تدعى تلمسان أيضا " مدينة الجدار " أي المدينة المحاطة بالأسوار[3].

الشمال

↑

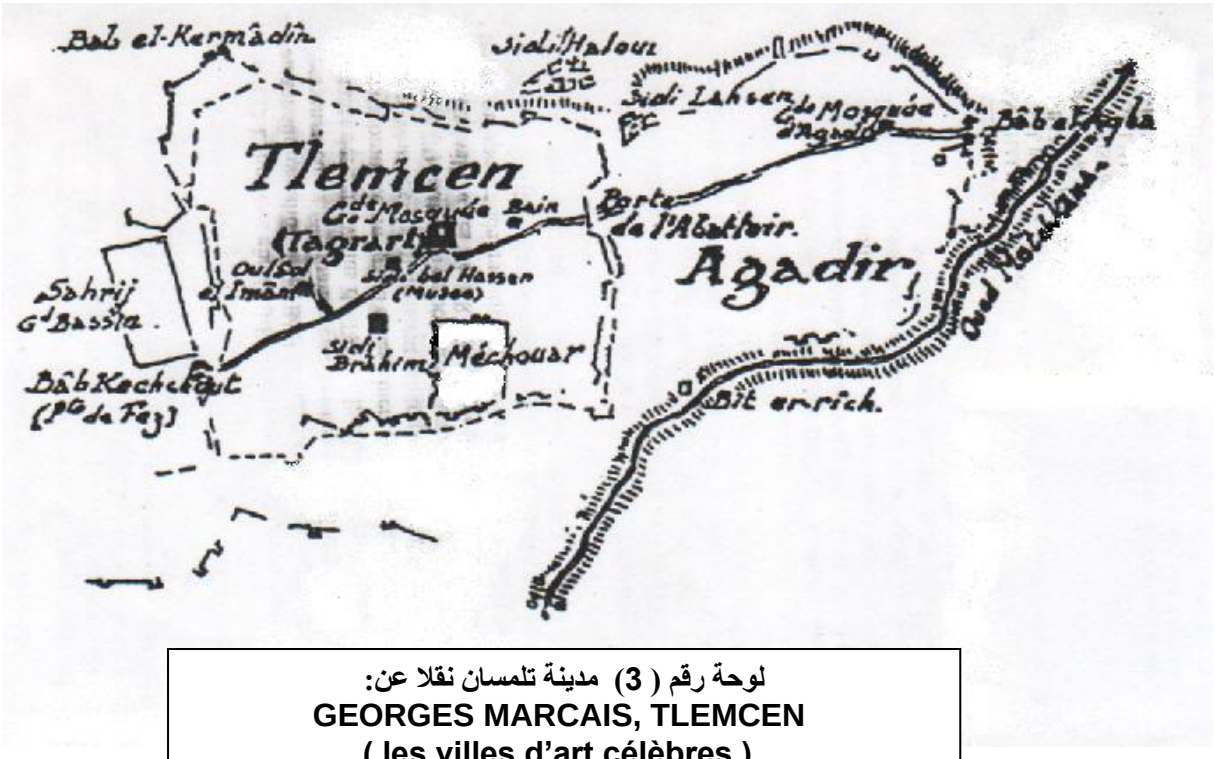

لوحة رقم (3) مدينة تلمسان نقلا عن:
GEORGES MARCAIS, TLEMCEN
(les villes d'art célèbres)

---

(1) - R. P.Théry , Tlemcen (évocation sur son passé) , Opcite ,p 65.

(2) - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، مرجع سابق ، ص 9.

(3) - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 5.

أمّا عن اشتقاق لفظ تلمسان، فقد اختلف المؤرخون في تحديده، فيروي الأخوان ابن خلدون عن أستاذهما : عبد الله الآبلي أن اللفظ بربري الأصل، وهذا الاسم في لغة زناتة قوم الإقليم مركب من كلمتين : " تلم " بمعنى تجمع و" سان " بمعنى اثنين هما البحر والبر، عند عبد الرحمن بن خلدون وتجمع بين التل والصحراء عند أخيه يحيى. وتجمع بين الصحراء والريف عند صديقهما لسان الدين بن الخطيب[1].

" وذكر إميل لاوس (Emile Laoust) أسماء أخرى قريبة من تسمية تلمسان وهي منتشرة بكثرة في شمال أفريقيا، مثل قرية تالمست وآسيف تالمست بالمغرب، وتيلمسي فرع من واد الساقية الحمراء بالصحراء الغربية، وفي إقليم الأطلس الأوسط بالمغرب وجد مكان اسمه آلميس، والكلمة تعني جيب مائي، أو حفرة تخرج منها المياه. أمّا ألبرت ليريك (Albert Lerriche) فإنّه بدوره يذكر تيلمسي وجمعها تيلماس في منطقة الرقيبات، وهي تدل على مكان يحفر بعمق قليل في الرمال من أجل الحصول على الماء، أو حفرة ماء. ولكي نتأكد من علاقة اسم تلمسان بالماء نعود إلى شهادة المؤرخ روكليس (Reclus) الذي ذكر تلمسان في القرن التاسع عشر باسم مدينة الألف عين"[2].

كما يقال أيضا : أن اللفظ هو " تلمشان " بمعنى لها شأن.

ويرى البعض أن تلمسان جمع كلمة " تلمست " أو " تلماس " التي تعني الأرض التي تنعم بالمياه و الأعشاب والأشجار أو الينابيع أو جيوب المياه .

وهناك من رأى بأن اسمها مستوحى من كلمتي " تلي امسن " التي تعني بالأمازيغية كثرة الظّل لكثافة أشجارها. وهذا ما يؤكده ابن عبد الحكم الذي يسميها " تلمسين " في كتابه فتح إفريقيا والأندلس[3].

فتلمسان مدينة عريقة في التمدن فهواؤها منعش، وماؤها عذب، ومنبتها كريم، فسواء أخذناها بالاسم اللاتيني أو بالأسماء الأمازيغية أو بالألقاب العربية، فجلّها توحي بالخضرة وكثرة الأعشاب وازدهار البساتين وفيض العيون وتدفق الغدران.

---

(1) - محمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 9.

(2) - أحمد بوساحة ، أصول أقدم اللّغات في أسماء أماكن الجزائر ، ج1 ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ص 76.

(3) - ابن عبد الحكم ، فتح افريقية والأندلس ، الجزائر ، ص 90 – 91.

أما بالنسبة لألقابها المشهورة فهي كالتالي:

- جوهرة المغرب أو قاعدة المغرب الأوسط.
- باب الغرب.
- غرناطة إفريقيا.
- عاصمة حبّ الملوك[1].

وكانت المدينة الأولى بالمغرب الأوسط وحضارة زناتة في العصور المتعاقبة لما تميزت به من موارد ضخمة تسوغ الحياة و تؤهلها للسكن وتجمع بني الإنسان[2].

وأروع ما يشدّ إلى هذه المدينة طيبة أهلها وكرمهم، وهذا التلاقي بين الماضي والحاضر والتي تجسده المعالم التاريخية الأثرية الرائعة التي تزيد من روعتها الغابات المحيطة بالمدينة والبساتين الغنّاء، وتلك التحف كالساعة الميكانيكية المعلقة داخل قصر المشور، والشجرة الذهبية المليئة بالطيور ذات الأصوات الجميلة، وكان مقرها المدرسة التاشفينية. وكل هذا يعيد إلى الأذهان جمال الأندلس وروعة قرطبة وأشبيلية وغرناطة حيث تدفّق المهاجرون الأندلسيون على تلمسان سيما في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، فتغيّرت بذلك التركيبة البشرية للمجتمع التلمساني. وبالتالي تأثر الميدان العمراني باقتناء أساليب جديدة في فن العمارة وزخرفتها كاستعمال الأسقف المقببة بفنيات جديدة والأقواس الربع دائرية بمداخل المنازل.

فتلمسان هي مزيج من كل ما تقدم، وتتجلى فيها روعة الفن المعماري الأندلسي والإسلامي والمغربي مع عظمة المعمار التركي الشرقي والروماني المتميز، وهي في كل هذا تتحدى الزمن وتساير ركب التقدم و تعيد إلى الذاكرة صورا من الماضي، ماضي المنطقة الغني بالتراث الحضاري والقدرة على الإبداع في ميدان البناء والتشييد.

فمسجدها المعروف بمسجد تلمسان الأعظم صورة معبرة عن هذه الحقيقة من حيث فنّه المعماري و زخرفته، فهو يشبه إلى حد كبير مسجد " قرطبة " بقاعة الصلاة وبالقبتين الموجودتين فوق الجناح وهندسة تماثل هندسة جامع قرطبة في كل شيء كالعقود والمحراب والقبة القائمة على حنايا مظفورة. ولا يقل مسجد " سيدي أبي حسن " عن " مسجد تلمسان " عظمة وجلالا

---

(1) - أحمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مطبعة مصر ، 1302 هـ ، ص 268.

(2) - Atallah dhina , le royaume Abdelouadid à l'époque d'abou hammou moussa (1) et d'abou tachfine (1) , opu, Alger , 1985 , p 29.

وروعة، فلقد بناه " عثمان بن يغمراسن " تشريفا لأخيه " أبو أمير إبراهيم " في القرن الثالث عشر وهو يتصدر الساحة العامة للمدينة اليوم، حيث يلتقي التلمسانيون لتبادل الحديث والراحة، ويعتبر غاية في الإبداع ومظهرا رائعا للفن المعماري.

كما يعتبر مدخل جامع " سيدي أبو مدين " من أروع الأبواب التي حققها الفن المعماري الإسلامي. أما داخل الجامع فيوحي بالأبهة والعظمة وهو مثال في البساطة وفي تناسق أجزائه، بالإضافة إلى المعالم التاريخية الإدريسية الأخرى.

فإنّ كلّ الآثار والمعالم التاريخية المنتشرة في تلمسان ما تزال تحكي عظمة هذه المدينة الفكرية والحضارية والعمرانية.

ولعلّ أجمل المعالم والمباني التاريخية بتلمسان تلك التي بنيت في الفترة الممتدة من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي والتي تميزت بسيادة الأسلوب المعماري الأندلسي المغربي الإسلامي، " وكانت تربط ميناء تلمسان بميناء المرية روابط وثيقة،ولقد طلب أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين من السلطان إسماعيل ملك غرناطة أن يبعث إليه عددا من صناع وفناني الأندلس لبناء القصور بحاضرته تلمسان"[1]. ولم يتأثر الطراز التلمساني مثل الطراز المغربي بغيره من الطّرز الإسلامية تأثرا كبيرا.

هذا فيما يخص جوانب الزخرفة والخشب والبنايات حيث كان التأثير بارزا في سقوف المساجد وأبوابها الكبرى ومناظرها الجميلة المستوحاة من نظيرتها بالأندلس. أمّا الزخرفة النسيجية فقد يظهر تأثر أهل تلمسان جليا بالأزياء التي كان يرتديها أهل الأندلس مثل اللباس الصيفي واللباس الشتوي وبعض الزرابي[2]، كما تتجلى معالم التأثير من فن الطبخ وفنون البستنة وفنّ الموسيقى الذي يعتبر موضوعا قائما بذاته يقتضي الدراسة، وقد حافظ عليها المجتمع التلمساني عبر القرون، الدليل على تمكنها في حضارة المغرب الأوسط في عهد " بني عبد الواد " .

فإنّ المساجد والمدارس والقصور التي تحلّت بها تلمسان لشاهد قويّ على رقيّ الحضارة المغروسة في تلمسان. وقد تدلّ على أنّ الاتجاه في التعمير كان تابعا للتقاليد الأندلسية المغربية. و قد عمّ هذا الاتجاه الموسيقي أيضا.

---

[1] - السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1985 ، ص 249.

[2] - عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج(1) ، مرجع سابق ، ص 266.

فللتلمسانيين ميولا طبيعيا للفنون الجميلة وخاصّة فن الموسيقى، فلهم إذن إسهامات قديمة في ميدان الفنّ والبلاغة حيث ساهموا بها في شهرة الثقافة العربية، وقد برز عدة شعراء نذكر منهم:

أبو عبد الله بن خميس، محمد بن يوسف الثغري، أبو حمو موسى الثاني وقد كان سلطانا وشاعرا وفنانا و"هو من أمر بتشييد ضريح الوليّ إبراهيم المصمودي والجامع المحاذي له"[1]، أبو عبد الله بن الحجام، أبو عبد الله بن محمد بن أبي جمعة، وغيرهم فأشعارهم كلها تشهد على ثقافة واسعة و معاني دينية تحس في الأعماق[2].

وإذا أردت التحدث عن تاريخ تلمسان فإنّه يصعب إيجازه في صفحات لتاريخها الطويل وحضارتها العريقة،لكنّي سوف أذكر نبذة عنها.

فقد مرت تلمسان كغيرها من مدن الوطن على عهود تاريخية مختلفة كما ذكرت سابقا، حتى جاء العهد الإسلامي في منتصف القرن الأول للهجرة على يد الفاتحين القائد " أبي مهاجر دينار " سنة 678 م و" عقبة بن نافع الفهري " .

ولقد كان " أبو المهاجر دينار " أول أمير مسلم يتوغل في ديار المغرب العربي، ويصل إلى تلمسان، وبها سميت عيون أبي المهاجر قريبا منها[3] .

فدخلت تلمسان تحت لواء الخلافة الإسلامية بالمشرق إلى أن قامت الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى على يد " إدريس بن عبد الله " فنزل بـــ " وليلي " من جبل زرهون ونزل أخوه سليمان بتلمسان، فانضمت تلمسان إلى حكمها[4] .

ولما انقرضت دولة الأدارسة من المغرب، وولّي أمره "موسى بن أبي العافية الشيعي " والذي فتح تلمسان سنة 219 هـــ بعدما تغلب على أميره "الحسن بن العيش الإدريسي " وحاصره ثم وقعت الهدنة بينهما.

" ولما تغلب الشيعة على المغرب الأوسط، أخرجوا أعقاب محمد بن سليمان من سائر أعمال تلمسان أنهم أخذوا بدعوة بني أمية من وراء البحر الذين أجازوا إليهم ومكّنوهم على بلاد زناتة

---

(1) - عبد الحميد حاجيلت ، أبو حمو موسى الثاني (حياته وآثاره) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ط(2) ، ص181.

(2) - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 169- 170.

(3) - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرجع سابق ، ص 76.

(4) - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، مرجع سابق ، ص 166.

والمغرب الأوسط. فقد عقد الناصر الأموي ليعلى ابن محمد اليفريني على هذه المناطق أعوام أربعين وثلاثمائة ".

ولما هلك يعلى وأقام بعده بأمر زناتة التي كانت في حروب دائمة مع قبيلة صنهاجة " محمد بن الخير بن محمد خرذاذية " الحكم المستنصر بتلمسان سنة 360 هـ، ولكنّه قتل في إحدى المعارك. وبذلك انقسمت دولة الأدارسة، وافترق أمرها واستقلّ بإمارة زناتة وولاية المغرب " زيري بن عطية "[1].

ويرجع سقوط الدولة الإدريسية إلى " الصراع الذي كان قائما بينها وبين الأمويين بالأندلس من وراء البحر من جهة، أو من جهة أخرى أحفاد إدريس الأكبر اقتسموا إرث والدهم وخرجوا بذلك الصرح السياسي الذي بناه من دون أن يقدموا على طمس عمله الحضاري المشّع من مدينة فاس، تلك المدينة الوحيدة المتفوقة في المجال الحربي بالمغرب الأقصى في تلك الفترة"[2].

وقد عمّرت الدولة الإدريسية بالجزائر 170 سنة وانتهت هذه الدولة سنة 342هـ/953م. أما المغرب الأقصى فقد تقدم انهياره عن الجزائر الإدريسية بإحدى وثلاثين سنة .

ثم انضوت منطقة تلمسان بعدها تحت حكم الدولة الزيرية سنة 405 هـ / 1014 م وتولى أمر تلمسان " يعلى بن زيري بن زيري "، وظلّت تابعة للدولة الزيرية إلى أن سقطت على يد قبيلة "لمتونة المرابطية "[3].

وتنتمي الدولة المرابطية إلى قبيلة " لمتونة الصنهاجية " والمشهورة باسم " دولة الملثمين "، عرفوا فيما بعد باسم المرابطين .

وهم الذين كان على يدهم تأسيس هذه الدولة سنة 434 هـ / 1042 م. ففتحوا بلاد الصحراء والمغرب الأقصى وانتصروا على الأندلس وكان استفحال ملكهم على يد عهد الأمير يوسف بن تاشفين عاهل لمتونة ورافع عماد الدولة المرابطية.

وأصبحت تلمسان تابعة لها وخاصة بعد بداية تحرشات المرابطين بتلمسان سنة (472 هـ - 542 هـ) الموافق لـ (1079م – 1148م) حيث ترك جيشها من مراكش بقيادة " مزدلي

---

(1) - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرجع سابق ، ص 77.

(2) - شارل أندري جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1978 ، ص 59.

(3) - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرجع سابق ، ص 76-77.

بن بكلان اللمتوني " والذي جاء غازيا للجزائر في نحو عشرين ألف مقاتل، فحلّ بأحواز تلمسان فقاتلهم يومئذ عنها الأمير العباسي يحيى من بني خزر المغراويين إلى أن سقط ميتا في ساحة القتال، وبعد ذلك انطلق جند ابن تاشفين في تلك النواحي ثم عاد إلى مصدره[1].

وبعد ثلاث سنوات غزا الأمير يوسف بن تاشفين مملكة الجزائر، وافتتح منها عدّة أماكن مستوليا على مدينة تلمسان بعد قضائه على أمراء بني خزر أو بني يفرن، واتخذها مأوى له ومعسكرا لجيشه.

ولكن لم يكن حكم المرابطين بتلمسان حكما مستقرا، وذلك لتعرض الدولة المرابطية لغزوات الحماديين، إلاّ أن ذلك لم يمنع من ازدهار الحياة الثقافية والدينية والفنية والموسيقى بالمنطقة. ونأخذ مثالا على ذلك المساجد التي بنيت بتلمسان، المسجد الكبير على يد "يوسف بن تاشفين " .

" فقد عرف عن السلاطين المرابطين تشجيعهم للثقافة، وخاصة اهتمامهم ببناء المساجد والقصور"[2]. بالإضافة إلى صيغ الكتابة المستعملة في تلمسان وتطور الخط الكوفي، والذي بلغ ذروته الزخرفية والجمالية في عهدهم.

غير أنّ الدولة المرابطية سرعان ما انهارت نتيجة عدة أسباب نذكر منها: الفتن الداخلية بين قبيلتي مسوفة ولمتونة وانضمام قبيلة مسوفة إلى دولة الموحدين،كما نشأ صراع بين المرابطين ومسلمي الأندلس، الأمر الذي سمح بتدخل الموحدين.

" وبذلك يمكننا القول أن الدولة المرابطية تمزّقت بنفس السرعة التي تأسست بها، بعدما قضت هذه الدولة بالجزائر 67 سنة، وبعد انهزام يوسف بن تاشفين، والذي سقط ميّتا في إحدى المعارك التي دارت بتلمسان والتي احتلّها الموحدون يوم 29 رمضان سنة 539 هـــ الموافق لـــ 26 مارس 1145 م"[3].

وانتهى الحكم المرابطي وتأسست الدولة الموحدية على يد " محمد بن عبد الله " المعروف بالمهدي بن تومرت، وتم الاستيلاء على تلمسان عام 1139م من طرف " عبد المؤمن بن علي "

---

[1] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج(1) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط(2) ، 1965 ، ص 403.

[2] - رابح بونار ، المغرب العربي (تاريخه وثقافته) ، الشركة الوطنية للنش والتوزيع ، الجزائر ، ط (2) ، 1981 م ، ص 238.

[3]- شارل أندري جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، مرجع سابق ، ص 120-121.

وأمست تحت سلطان هذه الدولة، ولم يكتف الموحدون بتلمسان، فعمّ نفوذهم جميع تراب الشمال الإفريقي .

وبذلك فهم أعظم دولة شهدها الإسلام في المغرب، ومن المظاهر العظيمة التي خلّدها التاريخ للموحدين في هذه الفترة بعد دخولهم إلى تلمسان:

- التطلع والتعمق في فنون العلم و الأدب والموسيقى.
- ازدهار الخطوط وتطور الخط النسخي منها في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، والدليل على ذلك شواهد القبور.
- تعريب المجتمع الذي يضم عناصر بربرية.
- التوسع في حركة نشر الكتب بمختلف توجيهاتها.
- تخليف الآثار المعمارية من طرف الموحدين في منطقة تلمسان منها:

- قصر المشور 540 هـ / 1145 م.
- و ضريح الشيخ أبي مدين بالعباد العلوي و اهتمام الولاة إلى تحصينها و تشييد أسوارها و عمرانها.

وقد تزايد عمران تلمسان وتوسعت خطتها، وعلت صروحها وازدهرت الحركة الفكرية والفنية بها.

غير أنّ الدولة الموحدية سرعان ما انهارت وبدأ نفوذها يتقلص من البوادي والأطراف وانحصر حكمها في المدن والعواصم كمراكش.

كما أنّ بلاد المغرب انقسمت إلى ثلاثة أجزاء فكان للحفصيين " تونس "، ولبني عبد الواد " المغرب الأوسط "، ولبني مرين " المغرب الأقصى "، ولم يوفق بنو عبد المؤمن في إنشاء وحدة بربرية دائمة [1].

واشتدّ التنافس بين الدويلات الثلاث على تركة الدولة الموحدية، وتمكّنت الدولة الحفصية من فرض نفسها بادعائها الوراثة الأولى للموحدين المنهارين والمحافظة لتقاليدهم ومخلفاتهم المادية والثقافية .

---

[1] - شارل أندري جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، مرجع سابق ، ص 167- 168.

ولم تنج تلمسان من الغزو الحفصي الذي دخلها سنة 642 هـ / 1242 م تحت قيادة " أبو زكرياء الحفصي " والذي تركها تحت ضغط بني عبد الواد. وبذلك سقط عرش الموحدين بيد المرينيين الذين أسسوا دولة بني مرين سنة 668 هـ بقيادة الأمير " أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق " بعدما انتصروا على الدولة الموحدية واحتلوا " مراكش " بعد سنين من الحرب دامت بالجزائر أزيد من تسعين سنة.

كما فكّر "بنو مرين" في اجتياح المغرب الأوسط بعدما خابت آمالهم في الأندلس. واستولوا على تلمسان سنة 714 هـ بعدما نزعوا من " موسى بن عثمان بن يغمراسن " سلطان " بني عبد الواد "[1].

وظلّت إحدى عشر عاما مركزا للحكومة المرينية، ثم خرجت من سلطان بني مرين واستعادها بنو عبد الواد .

ومما قام به المرينيون بتلمسان، تأسيس مدينة "المنصورة " أثناء الحصار الذي ضرب عليها سنة 737 هـ. و قد دام هذا الحصار أكثر من ثماني سنوات، مما أدى إلى اغتيال السلطان المريني " أبو يعقوب يوسف " سنة 706 هـ / 1306 م في انسحاب بني مرين من تلمسان وتخلّيها عن المملكة التلمسانية ورفع الحصار عن أهلها. فتحولت الدولة إلى كتلة من اضطرا بات وخلافات بين الأسرة المرينية على العرش الولد و الأخ و الحفيد. هذا ما جعل الحفيد " أبي ثابت عامر بن عبد الله " يستند إلى بني زيان فحالفهم على بني مرين. واشتدّ العراك على العرش، وانتقاما لذلك دمّر الزيانيون مدينة المنصورة عن آخرها، حيث لم يبق منها إلا صومعة مسجدها شامخة وبقايا أسوارها[2].

ويمكننا القول أنّ الزيانيين و المرينيين كانوا يتناوبون على الحكم في تلمسان بحد السيف. ونشأت الدولة الزيانية في بطون قبيلة " زناتة " في القرن الثالث عشر الميلادي منتمية إلى قبائل بني عبد الواد، حيث رحلت إلى سواحل المغرب الأوسط، وأصبحت لها سيادة في هذه المنطقة، واتخذت هذه القبائل من تلمسان عاصمة لها. فنهض بنو زيان بها وعلى رأسهم الملك " أبو يحيى يغمراسن بن زيان " الذي حكمها سنة (633 هـ / 1236 م) نهضة واسعة ودفعوا

---

[1] - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 98.

[2] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج (2) ، مرجع سابق ، ص 106.

بها دفعة قوية، حتى أصبحت تلمسان في عهدهم حاضرة من حواضر العلم والسياسة في العالم الإسلامي وعاصمة مستقلة في عهد دولة بني عبد الواد.

وقد شهدت تلمسان ازدهارا رغم ما تعرضت إليه من هجمات مرينية وحفصية، حيث بنى فيها بنو عبد الواد القصور والمدارس.

واستمرت هذه الدولة من سنة 635 هـ/1235 م إلى سنة 963 هـ/1554م أي 328سنة. ونالت تلمسان مكانة استراتيجية في ظل الحكم الموحدي، وبلغت في عهد بني عبد الواد أوج ازدهارها و عظمتها، وبلغت الآفاق، وتيسرت في هذه الفترة أحوال أهلها.

وبهذا التطور الكبير الذي شهدته يقول عبد الرحمن بن خلدون: "لم يزل عمرانها يتزايد وخطتها تتسع و الصروح بها تتعالى و تشاد إلى أن نزلها آل زيان، و اتخذوها دارا لملكهم و كرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور الموثقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين، وأجروا خلالها المياه وأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل الناس إليها من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء و اشتهر فيها العلم، وضاهت أمصار الدول الإسلامية وقواعد الخلافة[1].

" فلا تجد التلمساني إلا تاجرا أو محترفا أو طالبا للعلم أو معلما أو جنديا مع الجيش يدافع عن وطنه، وقد كملت صنائعها، والصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"[2].

و كانت تلمسان مربعا لعلماء وأدباء وموسقيين تبوؤوا المقام السامي والافتخار المفرط من طرف البلاط الزياني، فقد احتضنت مدارسها الطلاب من كل جهة حاملين معهم تراثهم الفكري و الفني والمهني، وأذواقهم التي تنم عن ماض مجيد ضارب بجذوره في التاريخ، وحضارة راقية أصلية، و استوطنها أولياء قد أعجبهم الموقع وراقهم المجتمع.

و لقد كان ملوك بني زيان يفاخرون ملوك المغرب في جميع مقومات الحضارة، فانساقت أوضاع الفنون الأندلسية المغربية وأساليبها، وضاهت ما شيّد بغرناطة وفاس روعة وإبداعا، واستحوذت على أهواء وأذواق التلمسانيين، وهذا الطيب أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة يمدح السلطان أبو حمو موسى الزياني فيقول:

---

(1) - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج (2) ، مرجع سابق ، ص 78.

(2) - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 204.

وَافَى (تِلمْسَان) وَهِيَ مَحَلٌ فَجَادَهَا صِيبُ السَّحَائِبِ
فَهِيَ بِهِ الآنَ ذَاتُ حُسْنٍ مَنْظَرٌ للعُقُولِ سَالِبِ
عَادتْ به جَنَّةٌ وصَارَتْ فِي الغَرْبِ تَحْدُو لَهَا الرَكَائِبِ
طَابَ لَعُمْرِي الهَوَاءُ فِيهَا لِمنْ فِي طُولِ الأَيَامِ رَاغِبِ
شَيَّدَ بُنيَانَهَا فأضْحَتْ تَلْحَقُ بالأَنْجُمِ الثَوَاقِبِ[1]

كما ساهموا في الإشعاع العلمي والديني والثقافي، ووضعوا اللبنة الحضارية في التاريخ العربي الإسلامي، لأنّ معظم المساجد والمدارس والقصور التي تحلّت بها تلمسان لشاهد قويّ على عراقة ورقيّ حضارها.

"غير أنّ تلمسان عرفت ركودا وجمودا في العهد العثماني بسبب اهتمامهم بالجانب العسكري"[2].

ويرجع انحطاط تلمسان إلى القرن السادس عشر، حيث قام الأسبان بتهديم ميناء "هونين" من أجل حرمان تلمسان من كل منفذ على البحر، واهتموا بتطوير وهران من خلال تغيير طريق البضائع التي أصبحت بين أيدي الأتراك. ودخل الأتراك تلمسان وألحقوها بدولتهم في الجزائر عام 1555 م. فقد عانى التلمسانيون من بعض تصرفات الجيش التركي، الأمر الذي اضطرّ بعض الأسر التلمسانية إلى مغادرة بلدهم العزيز واستوطنوا المغرب.

فإنّ معظم التقاليد الثقافية والفنية لتلمسان أصبحت تنحصر في دور الحارس على قيّم موروثة عن الماضي، فبفقدان عاصمتها الاقتصادية والسياسية أصبحت عاجزة عن التطور والإثراء من أجل خلق ثقافة مطابقة للوقائع الجديدة. إلاّ أن في عهد " محمد عثمان باشا " و" محمد باي الكبير " وقع استقرار نسبي كان له أثر في الميدان الاجتماعي والاقتصادي.

فازدهرت الفلاحة والزراعة وتربية المواشي،كما نشطت بعض الصناعات كالنسيج والنحاس والدباغة، وهكذا أصبحت تلمسان عبارة عن مدينة زراعية تشرف على سهول ووديان غنية.

وبقيت تابعة للأتراك إلى أن استعمرت من طرف الجيش الفرنسي سنة 1830 م. وبعد سنوات من الكفاح والمقاومة التي بدأت بالتفاف أهل تلمسان حول مقاومة الأمير عبد القادر،

---

[1] - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 163.
[2] - نفس المرجع ، ص 238.

وبعد ثورة أول نوفمبر الخالدة التي شارك المجتمع التلمساني بكلّ شرائحه وأطيافه السياسية وضرب أروع البطولات في التصدي ومحاربة المستدمر الغاشم حتّى استرجعت الجزائر سيادتها واستقلالها. فدخلت مدينة تلمسان مرحلة الحرية والكرامة والعزة والشرف. وهي الآن تسترجع شيئا فشيئا مكانتها الشهيرة وصيتها المفقود، وذلك بكثرة مؤسساتها التعليمية والثقافية حتى يحمل شبابها مشعل العلم والفن الذي ورثوه عن أجدادهم، وبمصانعها التي حافظت على الصناعات التقليدية المشهورة في تلمسان وهي تصبو إلى المعاصرة، وبصيانة وترميم وتسجيل آثارها المادية والمعنوية الكثيرة والمتنوعة التي تزخر بها المدينة، وبكثرة سدودها المائية حتى تبقى المدينة ينبوعا جاريا وجنّة خضراء ولسانا طيّبا وصدرا رحبا يسع أهله وزواره، وقد صدق شاعر الثورة الجزائرية المجيدة "مفدي زكرياء" حين قال:

تِلمسَانُ مَهْمَا أَطَلْنَا الطَوافَـــا إِلَيْكِ تِلمْسَانَ نُنْهِي المَطَافَـــــا
وَيُسْكِرُ هَذَا الوَرِيـــطُ الدُّنَـــا فَتُعْصَرُ فِيهِ النُّجُومُ سِلاَفَـــــــا
أَفِي رَفْرَفِ الخُلْدِ ؟ قَدْ وَجَدُوا تِلمْسَانَ...فَاخْتَطَفُوهَا اِخْتِطَافَا؟؟[1]

[1] - مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط(2) ، سنة 1987 ، ص 51.

3. وصف النماذج المختارة:

1.3. دار لاغا عبد الحميد بالرحيبة:

* **موقع الدار**: تقع دار لاغا في حي الرحيبة في درب سيدي الوزّان اللوحة رقم (4) والتي يذكر أنّ سكناها بنيت في عهد السلطان يغمراسن في القرن السابع الهجري على النمط الأندلسي، والرحيبة تصغير للرحبة وتعني تجمع الخيل أو الجياد نسبة إلى الحي المجاور له باب الجياد.

ويقابل الدار في الجهة الشمالية الشرقية مسجد " سيدي الوزّان " الذي شيّد في القرن الثامن الهجري.

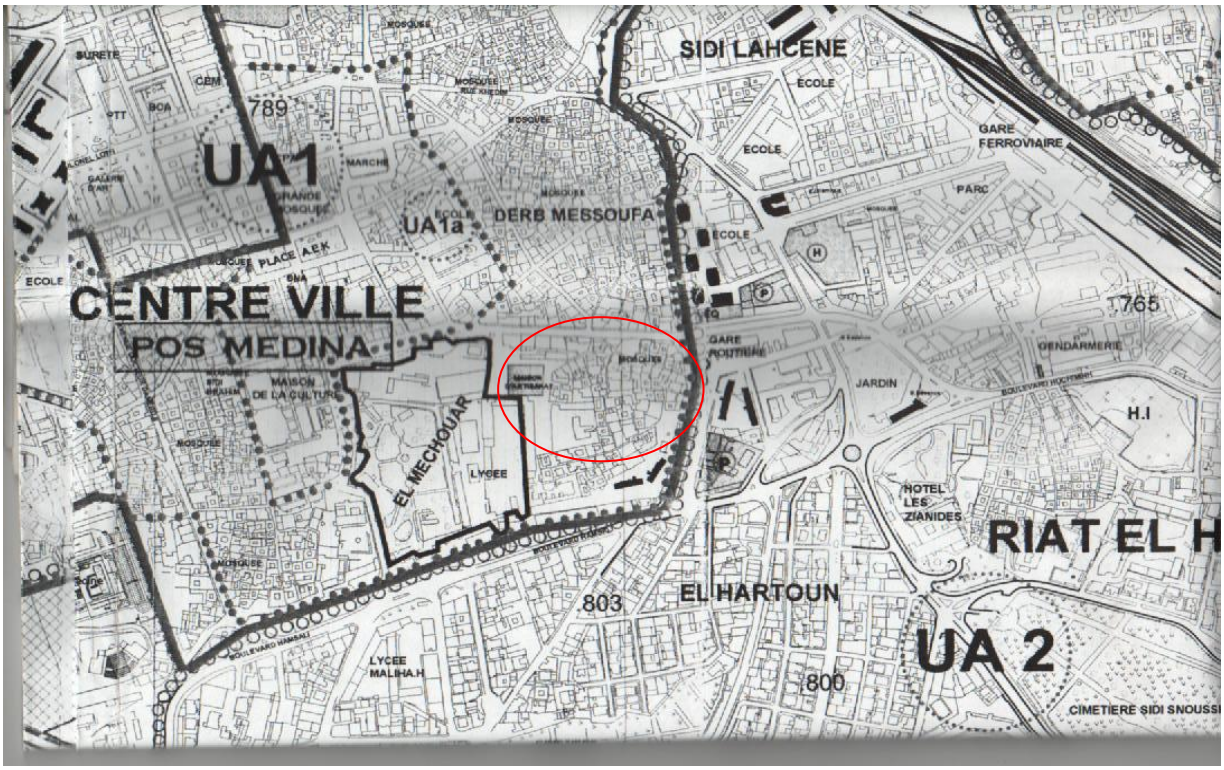

لوحة رقم (4)
مخطط لموقع دار لاغـا بالـرحيبة
نقلا عن:
(ANAT) AGENCE NATIONALE D'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE (2007)

*** السلم ــــــــــــ 1 / 5000**

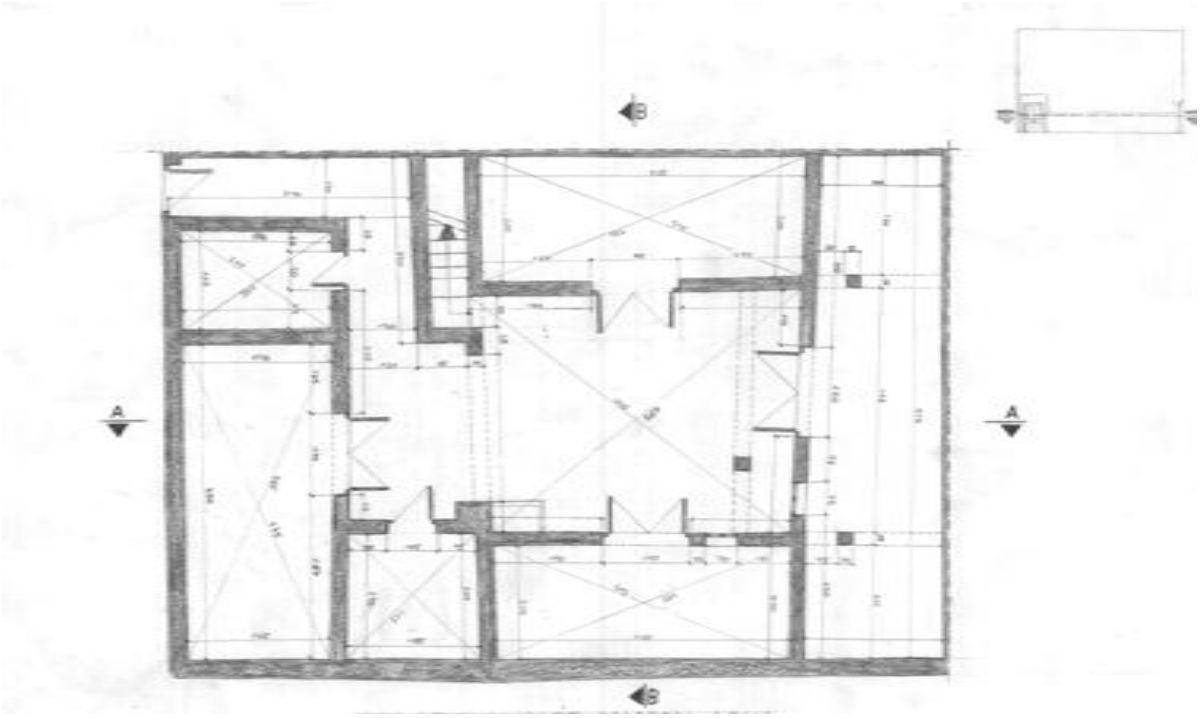

لوحة رقم (5) مخطط الطابق الأرضي لدار لاغا

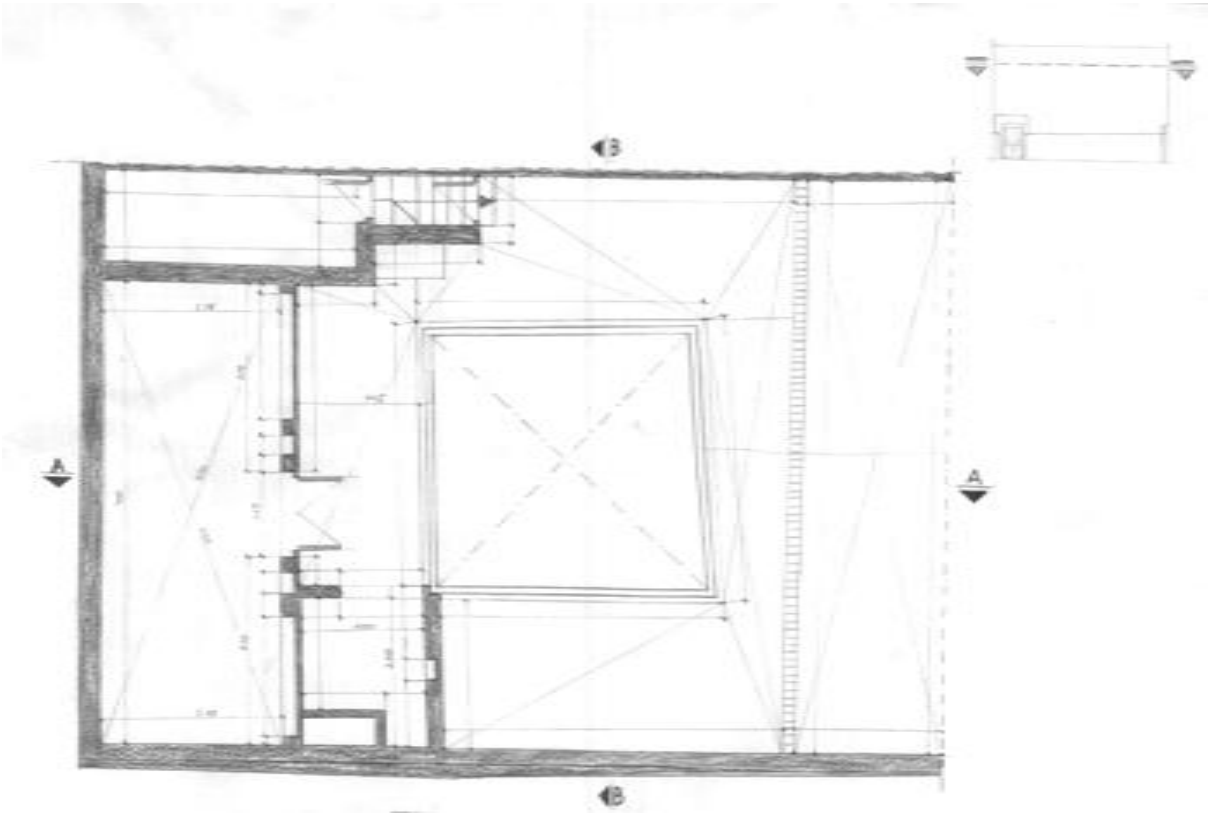

لوحة رقم (6) مخطط السطح للدار

لوحة رقم (7) الواجهة الخارجية والباب الرئيسي للدار

اللوحة رقم (7) تمثل الواجهة الخارجية للدار وهي تطل على دريبة توصلنا باتجاه الجنـــوب إلى دار "**ويسي**" ، ويظهر باب المدخل الرئيسي لدار لاغا والذي يحمل رقم (25) في الحي السكني بالرحيبة، ويبلغ ارتفاعه حوالي 2.45 م أما عرضه فهو حوالي 95 سم، وتعلو الباب الرئيسي أسكوفة أفقية، أما الباب فهو مصنوع من الخشب ويظهر من خلال شكله أنّه حديث الصنع.

المساحة الإجمالية لدار لاغا بالرحيبة تساوي حوالي 95.26 **م2** وهي مستطيلة الشكـــل (10.95م x 8.70 م).

لوحة رقم (8) المدخل المنكسر للدار وبلاط أرضيته

اللوحة رقم (8) تظهر المدخل المنكسر للدار، فطول المدخل يساوي 2 م وعرضه حوالي 1.35م وارتفاعه 2.45 م، أما الانكسار الموصل إلى الفناء فطوله حوالي 3.60 م. والغرض من المدخل المنكسر في العمارة الإسلامية حتى تستر عورة أهل المسكن من أعين المارة في الأحياء والدروب، ومن خلال هذا المدخل المنكسر نلاحظ أنّ التخطيط الداخلي للدار صمم تصميما يساعد على تحقيق الخصوصية لأهل الدار.

أما بلاط أرضية المدخل فيظهر حديث الصنع ومزيّن بزخرفة نباتية محورة، وجدران المدخل غير مزينة بأي نوع من الزليج أو الجص بل هي مطلية بالإسمنت وملونة في الأسفل باللون الأحمر الآجوري وفي الأعلى باللون الأصفر.

لوحة رقم (9) الباب الثاني للمدخل المؤدي إلى فناء الدار

وفي نهاية المدخل على يمينه يوجد مرحاض مساحته حوالي 1.28 م2 (**1.60** م x 0.80 م)، وبابه من اللوح نصفه العلوي من الزجاج السميك للإضاءة، و في أعلاه فتحة مثلثة الشكل صغيرة تطل على الخارج تستعمل للتهوية، وقبل الدخول إلى فناء الدار يوجد باب ذو فلقتين من اللوح، نصفه العلوي مزيّن بمستطيلات ومربع من الزجاج الملون، وشكل أعلى الباب نصف دائري حتى هو مزيّن بالزجاج على شكل أشعة الشمس ومن ضمن ألوانه الأزرق والأخضر والأصفر والتي تدخل من خلالها أشعة الشمس فتعكس هذه الألوان فتضيء المدخل بألوان جميلة متداخلة تنشرح لها نفس الداخل إلى الدار اللوحة رقم (9).

لوحة رقم (10) فناء الدار وبلاط أرضيته – صورة من الأعلى -

يعتبر الفناء عنصر أساس في عمارة المسكن التقليدي الإسلامي فهو الفتحة التي يتنفس منها المسكن بعيدا عن أعين الناس وليس من النوافذ المطلة على الشوارع والدروب مثلما هو الحال في العمارة الحديثة المستوردة من الغرب، فهو يوفر لساكنيه الهواء النقي والدفء المنعش من أشعة الشمس الداخلة من خلاله، وهو مكان منشرح لالتقاء العائلة وسمرها ولإنجاز بعض الأعمال النسوية كغزل الصوف ونسجها والخياطة وغير ذلك من الأعمال التي كانت تهتم بها المرأة قديما.

وفنـــاء دار لاغـــا اللوحة رقم (10) هو مستطيل الشكل مساحته حـــوالي 26.98 م2 (7.10م x 3.80م)، أما أرضية الفناء فبلاطاته مربعة الشكل وعليها زخرفة نباتية ملونة بالأصفر والأخضر والأبيض والأحمر. ويحيط بالفناء خمس (5) غرف متباينة في مساحاتها.

لوحة رقم (11) حنفية حائطية وصهريج في الزاوية اليمنى بالجهة الشمالية للفناء

وفي الزاوية الشمالية الشرقية للفناء توجد حنفية حائطية وأسفلها صهريج صغير مزيّن ببلاطات من الخزف اللوحة رقم (11)، طوله 80 سم وعرضه 50 سم وارتفاعه 60 سم، وذكرت لي صاحبة الدار أنّ في مكان هذا الصهريج كان يوجد بئر سابقا كعادة أغلب المساكن التقليدية الإسلامية، ويظهر بجانبه إناء حديدي لحمل الماء يستعمل لغسل الأيدي أو سقي الأزهار.

لوحة رقم (12) رواق وغرف الطابق الأرضي من الجهة الشرقية للدار

في الجهة الشـــرقية للدار وعند دخولنا إلى الفناء عبر المـــدخل المنكسر نجد كما هو ملاحظ في اللـــوحة رقم (12) غرفة علـــى اليمين مستطيلة الشكـــل، مساحتها حـــوالي 8.80م2 (5.40 م x 1.63 م).

لها باب خشبي ذو فلقتين ومدخل الباب مزيّن بعقد حدوي، وتستعمل هذه القاعة لتناول الطعام، يوجد على أحد جدرانها كوّة[1] يمكن أنها قديما كانت توضع فيها وسائل الإضاءة كالقنديل أو الشموع. وبجوار هذه الغرفة على الجهة اليمنى توجد حجرة صغيرة مستطيلة الشكـــل مساحتها حـــوالي 4.03 م2 (2.18 م x 1.85 م) وهي تستعمل كمطبخ اليوم.

أمام هاتان الغرفتان يوجد رواق محمول على عمود مربع الشكل وجدارين مجاورين ومزيّن في أعلاه بعقدين أحدهما كبير والآخر صغير يعلو المدخل المؤدي إلى السلم الموصل إلى السطح، وطول العمود حوالي 3.20 م أما طول ضلعه 30 سم. ومن منافع الرواق حماية الغرف المحيطة بالفناء من الأمطار.

---

[1] - تجويف في الحائط يكون مربع الشكل أو مستطيل ويزيّن غالبا في أعلاه بعقد.

لوحة رقم (13) رواق و غرفة الطابق الأرضي من الجهة الغربية للدار

تظهر اللوحة رقم (13) رواق في الجهة الغربية للدار يناظر الرواق الموجود في الجهة الشرقية وبنفس هندسته، فهو محمول على عمود مربع الشكل وجدارين مجاورين ومزيّن في أعلاه بعقدين أحدهما كبير والآخر صغير، وطول العمود حوالي 3.20 م أما طول ضلعه 40 سم.

والغرفة الغربية مدخلها يعلوه عقد وبابها خشبي ذو فلقتين يتوسط الواجهة المطلة على الفناء، عرضه حوالي 95 سم وعلى يسار الباب ويمينه نافذتين متناظرتين تطـــلان على الفناء للإضاءة والتهوية، و كـــل واحدة مستطيلة الشـــكل تقريبا (1.10 م x 70 سم). أمّا مساحة الغـــرفة حـــوالي 19.31 م2 (8.70 م x 2.22 م).

لوحة رقم (14) عقود و زخارف بالغرفة الغربية للدار- الجهة اليمنى -

والغرفة في حد ذاتها مقسمة إلى ثلاثة فراغات عن طريق عقدين على اليمين أحدهما كبير والآخر صغير اللوحة رقم (14)، ويرتكزان على عمود مربع الشكل طول ضلعه 30 سم وجدارين، ويعلو العقدين زخرفة جصية نباتية، ومربعات خزفية عليها زخارف نباتية وأخرى هندسية، أما مساحة هذا الفراغ فهي حوالي 4.66 م2 (2.22 م x 2.10 م).

لوحة رقم (15) عقود وزخارف بالغرفة الغربية للدار – الجهة اليسرى -

ويناظر الفراغ الأيمن فراغ أيسر بعقديه وعموده الذي يتوسط الغرفة اللوحة رقم (15)، أمّا مساحته فهي أقلّ 3.44 م2 (2.22 م x 1.55 م) وتوجد به خزانة حائطية، يعلو العقد الكبير زخرفة جصية نباتية، ومربعات خزفية عليها زخارف نباتية، أمّا العقد الصغير فيعلوه كوة في الحائط وفي أعلاها عقد مفصص وعدد فصوصه خمسة وكأنها ترمز إلى أركان الإسلام الخمسة وفي وسطها مربعة خزفية عليها زخرفة هندسية.

ومساحة الفراغ الأوسط تعتبر الأكبر فهي حوالي 11.21 م2 (5.05م x 2.22 م)، وفي وسطه كذلك خزانة حائطية، ولعلّ هذه الغرفة كانت تستعمل لاستقبال الضيوف لوسع مساحتها وجمالها بالعقود والزخارف.

لوحة رقم (16) غرفة بالطابق الأرضي في الجهة الجنوبية للدار

اللوحة رقم (16) تظهر الغرفة الشمالية للدار والتي يتوسطها باب خشبي ذو فلقتين وعرضه حوالي 95 سم ويعلو مدخله عقد يزيّنه، وفوق الباب يوجد سقيفة زجاجية محمولة على سبائك معدنية لحماية باب الغرفة من دخول الأمطار لأنه لا يوجد في هذه الجهة من الفناء رواق، وفي الجهة اليسرى لهذه الحجرة توجد خزانة حائطية، ولهذه الغرفة نافذة واحدة تطل على الفناء لتوفير التهوية والإضاءة، ويظهر على الجدار الخارجي قناة صرف مياه الأمطار التي تتجمع على سطح الدار.

أمّا مساحة هذه الغرفة فهي حوالي 9.22 م2 (4.50 م x 2.05 م) والغالب أن هذه الغرفة كانت تستعمل للنوم والاسترخاء.

لوحة رقم (17) غرفة بالطابق الأرضي في الجهة الشمالية للدار

اللوحة رقم (17) تظهر الغرفة الجنوبية للدار والتي يتوسطها باب خشبي ذو فلقتين وعرضه حوالي 95سم ويعلو مدخله عقد يزيّنه، مساحتها حوالي 11.13 م2 (5.30 م x 2.10 م)، و كانت تستعمل هذه الغرفة لاستقبال الضيوف وللنوم.

على يسار الباب نافذة مستطيلة الشكل تقريبا (1.10 م x 70 سم) مطلة على الفناء لتدخل الهواء إلى الغرفة وأشعة الشمس الدافئة، أما بلاط أرضيتها فهو يختلف عن بلاط أرضية الفناء بزخرفته الهندسية. ويظهر كذلك على الواجهة الخارجية للغرفة قناة صرف مياه الأمطار التي تتجمع على سطح الدار.

لوحة رقم (18) السلم المؤدي إلى سطح الدار

عند نهاية المدخل المنكسر الرئيسي للدار وعلى اليسار يوجد السلم المؤدي إلى السطح اللوحة رقم (18)، ويعلو مدخل هذا السلم عقد صغير حدوي، عدد درجات هذا السلم (15) درجة وطول كل درجة حوالي 78 سم أمّا عرضها 25 سم وارتفاعها 22 سم وهي مبلطة ببلاط ذو لون أحمر وأخضر.

لوحة رقم (19) الباب المؤدي إلى السطح ويقابله مخزن للمعيشة

في بداية الدرجات الثلاثة الموصلة إلى السطح يوجد غرفة صغيرة لها باب خشبي صغير اللوحة رقم (19)، ويتم الدخول إليها عن طريق عتبة صغيرة، وكانت تستخدم هذه الغرفة لتخزين الحبوب والزيوت وغيرها مما كان يستعمل للمعيشة، وعند مدخل السطح يوجد باب حديدي يظهر أنه حديث الصنع.

لوحة رقم (20) منظر لسطح الطابق العلوي وغرفه

مساحة سطح الدار حوالي 91.35 م2 (10.15 م x 9 م)، وسطح الغرفة الغربية أعلى ارتفاعا بحوالي 30 سم، والفتحة المطلة على الفناء مربعة الشكل تقريبا (4.20 م x 4.07 م)، ويحيط بها جدار ارتفاعه حوالي 1.10 م يحمي أهل الدار من خطر السقوط وخاصة الأطفال الصغار والشيوخ، وعلى واجهة كلّ ناحية من الجدار المحيط ثلاث فتحات مربعة الشكل تستعمل للزينة والتهوية وأرضية السطح مبلطة بمربعات من القرميد الأحمر تحميه من تسرب المياه، لكن يوجد جانبا من السطح قد فسد تبليطه أنظر اللوحة رقم (20).

لوحة رقم (21) غرف الطابق العلوي في الجهة الشرقية

لوحة رقم (22) باب غرفة الطابق العلوي وبلاط أرضيتها

يوجد في الجهة الشرقية للسطح غرفة مستطيلة الشكل مساحتها حوالي 11.76 م2 (4.20 م x 2.80 م)، بابها خشبي ذو فلقتين اللوحة رقم (21)، يعلو باب المدخل عقد حدوي أمّا بلاط أرضيتها فهو مثل بلاط الفناء في زخرفته وألوانه أنظر اللوحة رقم (22).

وعلى الجهة اليمنى من الغرفة يوجد حجرة صغيرة وارتفاع سقفها أقل من الغرفة المجاورة لها، ولها باب خشبي صغير، وربما كانت تستخدم للتخزين أو تستعمل كمطبخ، أمّا اليوم فغرف الطابق العلوي غير مستغلة نهائيا.

لوحة رقم (23) مواد صنع سقف غرف الطابق الأرضي

ارتفاع غرف الطابق الأرضي عموما حوالي 3.10 م، أمّا أسقفها فهي مصنوعة من أخشاب الأشجار غير ملتصقة ببعضها والمنـــزوعة اللّحاء حتى لا تتسوس وموضوعة في الجهة العرضية للغرفة، ومتوسط قطرها 10 سم، أمّا في جهة الطول فتوضع سيقان القصب ثم تغطى بالطين أنظر اللوحة رقم (23)، وبذلك تعمل على توفير الدفء في فصل الشتاء البارد والبرودة في فصل الصيف الحار.

سمك الجدران فهو حوالي 60 سم يساعد على ارتكاز الأسقف عليه ويعتبر عازل للبرودة في الشتاء والحرارة في الصيف، وكذلك عازل للصوت.

2.3. دار شراك رشيدة بدرب مسوفة:

* **المـــوقـــع**: يقع درب مسوفة في الجهة الشمالية الشرقية لوسط المدينة ويتقاطع مع شارع مرابط محمد أنظر اللوحة (20)، يمكن أن يعود سبب تسمية مسوفة إلى قبيلة مسوفة إحدى قبائل الأمازيغ الملثمين الذين أسلموا في القرن الثالث الهجري واختلطوا بالعرب.

وبدخولنا إلى درب مسوفة أسفل القيصرية والذي يجاور مسجد الشيخ السنوسي الذي تم بناؤه في بداية القرن (9 هـــ / 15 م)، وقد درس فيه الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب المعروف بالإمام السنوسي والمتوفى في سنة (895 هـــ / 1490 م)، وفي الدريبة الأولى على اليمين تقع دار شراك على يسارها أنظر اللوحة رقم (24).

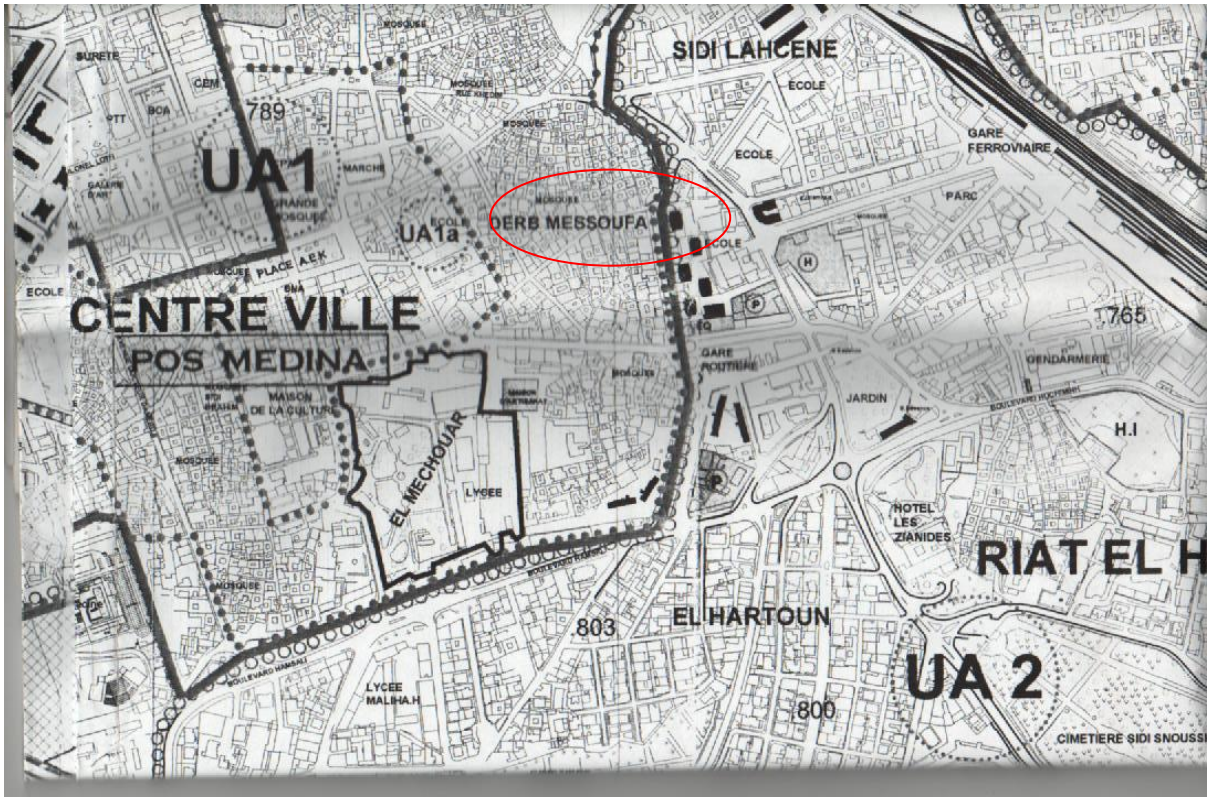

لوحة رقم (24)
مخطط لموقع دار شراك بدرب مسوفة
نقلا عن:
(ANAT) AGENCE NATIONALE D'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE (2007)

*** السلم ــــــــــ 1 / 5000**

لوحة رقم (25) تقاطع درب مسوفة مع دريبة دار شراك

مساحة دار شراك حوالي 93.24 م2 (12.6 م x 7.4 م) وهي مكونة من طابقين (طابق أرضي وطابق أول) وسطح. باب المدخل الرئيسي للـــدار والذي يظهر على اللـــوحة رقـــم (25) حديدي والغالب أنّه حديث الصنع، ويعلو المدخل أسكوفة أفقية (بدون عقد)، عرض باب المدخل حوالي 92 سم أمّا ارتفاعه 2.20 م.

وتظهر الدروب ضيقة توفر للمساكن المجاورة الظل خاصة في فصل الصيف، ويستعملها اليوم بعض الباعة لبيع سلعهم.

لوحة رقم (26) المدخل المنكسر للدار

يتم الدخول إلى الدار عن طريق مدخل منكسر، فطول هذا المدخل حوالي 3 م وطول انكساره 1.85 م، أمّا عرضه فحوالي 1.30 م. على جدران المدخل الرئيسي يوجد عقود تزينية اثنان على يسار المدخل طول قاعدة الأول 1.78 م والثاني 1 م وواحد على يمين المدخل يناظر الأول وبنفس مقاساته، وفي نهاية المدخل وعلى الجدار المقابل للباب الرئيسي عقد طول قاعدته 1.30 م اللوحة رقم (26). على جانبي المدخل وفي الجهة المقابلة له توجد دكة وهي عتبة عرضها 29 سم وارتفاعها عن الأرض 50 سم كانت تستعمل لاستقبال الضيوف خاصة الجيران عند زيارة أهل الدار أو توضع عليها جرّات الماء حتى تتعرض للهواء الداخل من الباب الرئيسي، مزيّنة في الواجهة بالزليج الذي تظهر عليه زخرفة هندسية على شكل أشعة الشمس ملونة بالأصفر والأزرق والأخضر الفاتح والتي تنشرح وتسرّ لها نفس الداخل برؤية هذه الألوان.

لوحة رقم (27) فتحات التهوية على جدران

لوحة رقم (28) فتحات التهوية على جدران

أمّا جدران المدخل فمكسوة بحوالي 1.20 م فوق الدكة بمربعات خزفية مزيّنة بزخارف هندسية ذات لون أخضر وأصفر وأسود.

وفي وسط العقود التي زيّنت بها الجدران يوجد فتحات على شكل مستطيل ومتوازي الأضلاع متصالبان يشكلان مضلعا ثماني الرؤوس، فزيادة على شكلها الهندسي الجميل فهي تستعمل للتهوية وللإضاءة انظر اللوحة رقم (27) و (28).

لوحة رقم (29) سقف المدخل المنكسر

لوحة رقم (30) سقف المدخل المنكسر

سقف المدخل المنكسر ليس مستويا بل شكله هرمي غير منتظم مستطيل القمة، ومصنوع من الجبس اللوحة رقم (29) و(30)، يظهر للناظر إليه كأنّه قبّة بيضاء تسمو به وتزيد المكان اتساعا لعلو السقف، وفي وسطها شريط من الزليج بألوانه الصفراء والزرقاء والخضراء، وكل جدران المدخل ملونة بالأزرق، ويتناسق شكل السقف والعقود والألوان فيبعث في نفس الداخل للدار شعورا بالراحة النفسية والاطمئنان.

لوحة رقم (31) فناء دار شراك وبلاط أرضيته

ينتهي المدخل المنكسر إلى فناء شكله شبه منحرف قائم تقريبا، قاعدته الصغرى 3.50 م وقاعدته الكبرى 6 م وارتفاعه 7.70 م وبذلك تقدر مساحته بحوالي 36.57 م2 .

أمّا بلاطات أرضيته فتظهر مربعة الشكل ومزيّنة بزخارف هندسية ونباتية وتختلف ألوانها بين الأبيض والأخضر الفاتح والبني والرمادي اللـــوحة رقم (31). وفي وسط الفناء يوجد فتحة لقناة صرف المياه التي تتجمع فيه، ويحيط بالفناء ثلاث غرف تطل بنوافذها عليه.

لوحة رقم (32) مكان بئر دار شراك

لوحة رقم (33)كيفية بناء البئر

في الزاوية الشمالية الشرقية للفناء يوجد بئر فوهته مربعة الشكل (45 سم×45 سم)،ماؤه غير صالح للشرب لكن يستعمله أهل الدار للتنظيف وغسل الملابس وغيرها من الأغراض، ويغطون فوهته بقطعة خشبية خوفا من سقوط الأطفال فيه، بني على فوهة البئر حائطين صغيرين من الآجر يرتفعان عن سطح الأرض حوالي 50 سم يمنعان دخول الأوساخ ومياه الفناء إليه.

وبجوار البئر توجد عتبة ارتفاعها حوالي 60 سم عن سطح الأرض كانت توضع عليها الأواني التي يستخرجون بها الماء من البئر، وعلى جدارها توجد كوة في أعلاها عقد ومزيّنة بمربعات من الزليج مثل تلك الموجودة على جدار المدخل اللوحة رقم (32) و(33).

لوحة رقم (34) غرف الطابق الأرضى

يوجد في الطابق الأرضي ثلاث غرف مستطيلة الشكل، غرفة في الجهة الشرقية للدار وأخرى في الجهة الغربية والأخرى في الجهة الجنوبية، أمّا مساحة الغرفة الواحدة تقريبا 21.60 م2 (8 م × 2.70 م)، وفي الزاوية اليسرى للجهة الشرقية يوجد مرحاض.

باب كل غرفة خشبي مكون من فلقتين وعرضه حوالي 1.07 م، ما عدا باب الغرفة الشرقية الذي يظهر أنّه استبدل بباب حديدي حديث الصنع اللوحة رقم (34)، ولكلّ غرفة نافذتين على يمين ويسار الباب شكلهما مستطيل (1.20 م × 70 سم) تطلان على الفناء للإضاءة والتهوية، إلاّ الغرفة الشرقية التي بها نافذة واحدة على يسار الباب، أمّا بلاط أرضية الغرف هو نفس بلاط الفناء بمقاساته وألوانه.

لوحة رقم (35) الأروقة المحيطة بالفناء في الطابق الأرضي

يحيط بالفناء أروقة محمولة على سبائك حديدية وعلى جدران الغرف، عرض الرواق الموجود في الجهة الشمالية حوالي 1 م أمّا في الجهة الشرقية والغربية والجنوبية فهو حوالي 50سم، و لم تحمل هذه الأروقة في هذه الدار على أعمدة أو دعامات اللوحة رقم (35).

يوجد على زوايا الجدران قنوات صرف الماء المتجمع في سطح الدار ليصل إلى الفناء، ويظهر كذلك تآكل الطبقة المغطية للجدران بفعل الرطوبة وقلة الصيانة.

لوحة رقم (36) السلم المؤدي إلى الطابق الأول

في نهاية المدخل الرئيسي للدار وعلى يمينه يوجد السلم المؤدي إلى الطابق الأول، عدد درجاته 24 درجة وعرض قائمة كل درجة 18 سم وعرض النائمة 31 سم أمّا طولهما 96سم، وهذه الدرجات هي في حالة غير جيدة بسبب الرطوبة وعدم الصيانة.

في واجهة مدخل السلم يوجد ثلاثة عقود متعانقة ترسم لنا صورة جميلة تنقلنا من الطابق الأرضي إلى الطابق العلـــوي، محمولة على عمودين في الوسط وعلى جدران الغرف اللوحـــة رقـــم (36).

يوجد على الجهة اليمنى للسلم حاجز على شكل قضبان حديدية للحماية من الانزلاق ولإسناد الصاعد على السلم.

في الطابق الأول يوجد ثلاث غرف مستطيلة الشكل مساحة الغرفة الواحدة تقريبا 21.60 م2 (8 م × 2.70 م)، باب كلّ غرفة خشبي مكوّن من فلقتين ومدخله مزيّن بعقد أنظر اللوحة رقم (37) و(38)، وعلى جانبي كلّ باب توجد نافذتين مستطيلتي الشكل.

وحول الفتحة المطلة على الفناء يوجد سياج حديدي على شكل مثمن طول أضلاعه (4.25 م، 62 سم، 2.45 م، 62 سم، 4.25 م، 62 سم، 2.45 م، 62 سم)، وارتفاعه 90 سم والسياج على شكل قضبان حديدية مزيّنة بأشكال هندسية.

وأمام الغرف رواق عرضه في الجهات الثلاثة حوالي70سم أمّا في الجهة الرابعة وهي جهة السلم الموصل إلى السطح فعرضه حـــوالي 1.70 م فهو لا يتعدى 50 سم.

وأرضية بلاط الغرف والرواق هو نفس أرضية الفناء بمقاساته وألوانه.

لوحة رقم (37) غرف الطابق الأول

لوحة رقم (38) غرف الطابق الأول

لوحة رقم (39) السلم المؤدي إلى السطح

يتوسط جهة السلم المؤدي إلى السطح عقدان محمولان على ثلاثة أعمدة مزيّنة بقطع من الزليج وينتهي العمود الأوسط بتاج مربع الشكل وطوله حوالي 2 م اللوحة رقم (39)، ويزيّن العقدان من الجهة العلوية مربعات من الزليج عليها زخرفة هندسية على شكل قرص الشمس تنبعث منه أشعته بألوان تنشرح لها النفس تختلف من الأزرق إلى الأصفر إلى الأخضر.

تظهر اللوحة رقم (40) و(41) السلم المؤدي إلى السطح ودرجاته في حالة جيدة مقارنة بالسلم المؤدي إلى الطابق الأول، وبلاط هذا السلم هو عبارة عن بلاطات مربعة الشكل من القرميد الأحمر.

أمّا عدد درجاته فهي 24 درجة وعرض قائمة كل درجة 18 سم وعرض النائمة 31 سم أمّا طولهما 96سم.

في الجهة اليمنى للسلم يوجد حاجز مشكل من قضبان حديدية مزيّنة في وسطها، الغرض منه تأمين الصاعد إلى السطح ومساعدته في التنقل.

لوحة رقم (40) السلم المؤدي إلى السطح

لوحة رقم (41) درجات السلم المؤدي إلى السطح

لوحة رقم (42) المدخل المؤدي إلى السطح

السلم المؤدي إلى السطح مغطى في نهايته بغرفة صغيرة (2 م x 1.90 م) مسقفة بسقف مائل من القرميد ولها باب صغير عرضه (76 سم) ويظهر على يمين الباب نافذة صغيرة قد سُدّت وأكيد أنها كانت تساعد مدخل الباب في إنارة السلم وتهويته، هذه الغرفة تمنع تسرب المياه إلى الطابق الأول والأرضي، مساحة السطح 66.50 م2 (8.58 م x 7.75 م)، ويحيط بفتحة الفناء سياج حديدي يشبه الموجود في الطابق الأول وهو على شكل مثمن طول أضلاعه (4.25 م، 62 سم، 2.45 م، 62 سم، 4.25 م، 62 سم، 2.45 م، 62 سم)، وارتفاعه 90 سم والسياج على شكل قضبان حديدية.

والسطح محفوظ عن الجيران بحائط صغير لا يتجاوز ارتفاعه 1.26 م، أمّا في الجهة الغربية فقد زادوا فيه جزءا حديثا فأصبح ارتفاعه 3.30 م ليوفر الخصوصية لأهل الدار عند صعودهم للسطح للراحة أو مزاولة أعمالهم المترلية، أمّا بلاط أرضيته فهو عبارة عن بلاطات مربعة الشكل من القرميد الأحمر اللوحة رقم (42).

في الجهة الجنوبية للسطح يوجد غرفتان متجاورتان، واحدة مساحتها7.28م2(2.75مx2.65م) ولا يوجد لها باب، أمّا الغرفة الثانية فهي أصغر فمساحتها 5.5م2 (2.75مx 2 م) لها باب عرضه 82 سم وهي تستعمل لتخزين حاجيات أهل البيت، وسقف الغرفتين من القرميد وهو مائل إلى جهة سطح الدار.

لوحة رقم (43) الجهة الجنوبية للسطح

في الزاوية اليسرى للغرفة الكبيرة يوجد مكان لطهي الطعام والخبز وهو مزوّد في أعلاه بفتحة مغطاة ببناء هرمي يساعد على خروج الدخان والبخار من تلك الفتحة أنظر اللوحتين (43) و(44).

لوحة رقم (44) موقد في الغرفة الجنوبية للسطح

2.3. دار بن عمر محبوبي بالعباد :

يقع العباد في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة تلمسان أنظر اللوحة رقم (45)، ويحمل في أحضانه ضريح الوليّ الصالح "سيدي شعيب بن أحمد بن جعفر بن شعيب أبو مدين" (727 هـ/ 757 هـ)[1]، والذي عندما أحسّ بقرب أجله رأى غير بعيد عن المدينة على منحدر مرتفع البساتين المتناثرة بها قبور ومناسك فسأل كيف يسمى هذا المكان الذي يدعو إلى الراحة، قالوا: إنّه " **العبّاد** " إقامة الورعين المتقين، فقال: " لا بأس بالنوم بهذا المكان " فاستجيب لأمنيته[2].

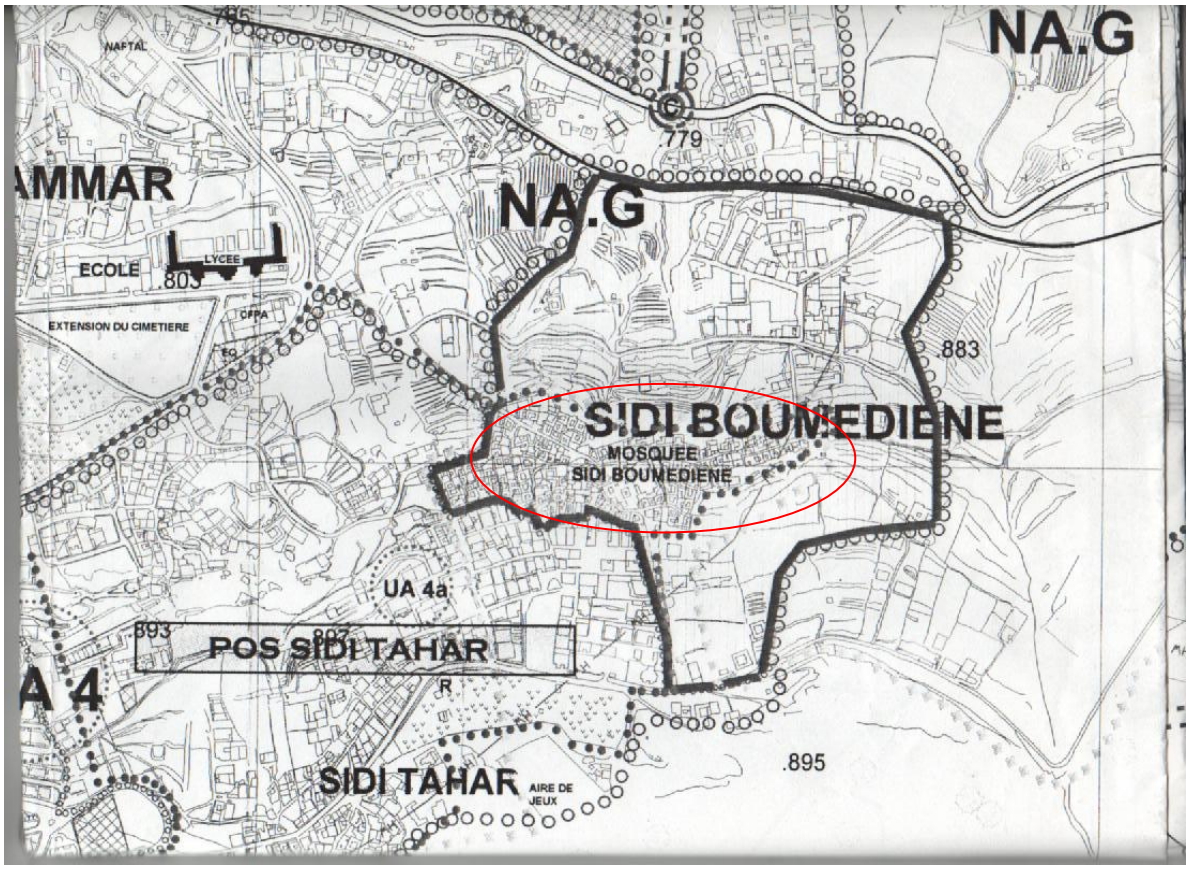

لوحة رقم (45)
مخطط لموقع دار بن عمر محبوبي بحي سيدي بوبكر بالعباد
(ANAT) AGENCE NATIONALE
D'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE (2007)

*** السلم ــــــــــ 1 / 5000**

---

[1] - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بان مريم الشريف ، ديوا ن المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1974 ، ص 115 .

[2] - جورج مارسي ، تلمسان – مدن الفن الشهيرة – مرجع سابق ، ص 71.

لوحة رقم (46) شارع سيدي بوبكر بالعباد

لوحة رقم (47) الواجهة الخارجية لدار محبوبي

مرورا بمسجد سيدي أبي مدين شعيب الذي بناه المرينيون نصل إلى شارع سيدي بوبكر الضيّق ذو البنايات البسيطة كباقي دروب المدينة العتيقة بتلمسان اللوحة (46)، تتوسط دار بن عمر محبوبي هذا الحيّ وتحمل رقم (15)، يظهر على واجهتها الخارجية والتي طولها 6.90 م باب رئيسي، على يمينه باب مغلق بالحجارة ارتفاعه 1.82 م وعرضه 91 م وكذلك على يساره باب مغلق بالحجارة ارتفاعه 1.55 م وعرضه 87 م، يمكن أنّ الغرفتين كانتا تستعملان للخدم أو للحيوانات، أسكوفة كلّ باب أفقية وهي مصنوعة من الخشب، وتظهر فتحة صغيرة فوق الباب الرئيسي مربعة الشكل طول ضلعها 30 سم اللوحة رقم (47).

الدار مكوّنة من طابقين (طابق أرضي وطابق أول وسطح) وضعية بنائها رديئة ويظهر ذلك من خلال تصدع جدرانها وتآكل مواد بنائها بسبب نقص الصيانة وعدم الترميم، غير موصولة اليوم بالماء الصالح للشرب والكهرباء، لكن توجد قنوات صرف المياه فيها. مساحة الدار الإجمالية حوالي 83.95 م2 (12.15 م x 6.91 م).

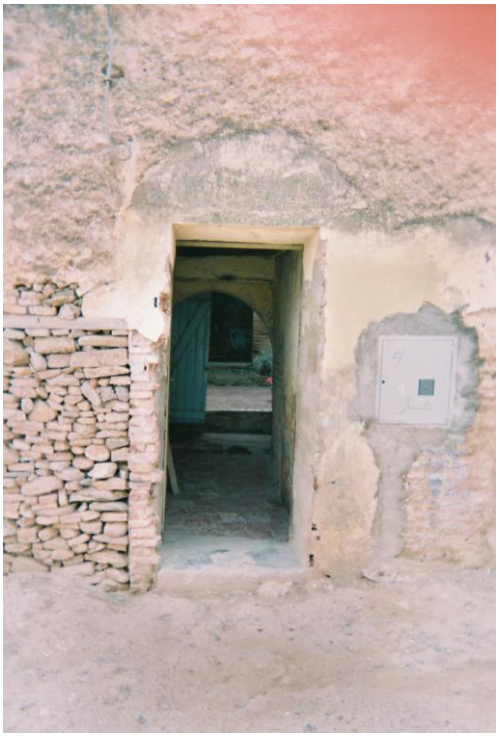

لوحة رقم (48) باب المدخل الرئيسي لدار محبوبي

لوحة رقم (49) المدخل المستقيم للدار والعقد الذي يزيّنه

باب المدخل الرئيسي ارتفاعه 2.3 م أمّا عرضه 90 سم اللوحة رقم (48)، يعتبر المدخل في هذا المسكن غير منكسر طوله 2.45 م وهو منخفض حيث ارتفاعه 2.10 م، مزيّن في وسطه بعقد حدوي مدعم بخشبتين في أعلاه يشكلان أسكوفة له، سقف المدخل مكوّن من قطع خشبية ويوضع عليها عموديا القصب ثم يوضع عليها طبقة من الطين، أمّا بلاط أرضية المدخل فهي مربعات من القرميد الأحمر، على يسار الداخل وعند السهم المبيّن في اللوحة رقم (49) يوجد مرحاض صغير. في نهاية المدخل توجد عتبة ارتفاعها 10 سم توصلنا إلى فناء على شكـــل (L) مساحته الإجمالية 27.7 م2.

لوحة رقم (50) الغرفة الغربية

لوحة رقم (51) الغرفة الجنوبية

اللوحة رقم (50) تظهر لنا الغرفة الغربية المستطيلة الشكل مساحتها: 15.87م2 (6.90 م x 2.30 م)، بابها خشبي مكوّن من فلقتين عرضه 1.10 م، أمّا مدخل الباب فمزيّن بعقد، وتطل هذه الغرفة على الفناء بنافذة مربعة الشكل، وفي الجهة اليمنى لهذه الغرفة توجد مسطبة طولها 2.30م وعرضها 1.90م وارتفاعها 90 سم، يصعد إليها بسلم من أربع (4) درجات، وربما كانت تستعمل هذه المسطبة كسرير للنوم، وعل حائطها توجد كوة ومكان لوضع الملابس.

اللوحة رقم (51) تظهر لنا الغرفة الجنوبية في الدار المستطيلة الشكل مساحتها: 10.14م2 (4.61م x 2.20م)، بابها خشبي عرضه 55 سم ومدخل الباب مزيّن هو كذلك بعقد.

لوحة رقم (52) الغرفة الشرقية

لوحة رقم (53) السلم المؤدي إلى الطابق الأول

اللوحـــة رقم (52) تظهر الغرفة الشرقية المستطيلة الشكـــل والتي مساحتها حوالي6.87 م2 (5.50 م x 1.25م)، وهي تستعمل اليوم كمطبخ وبابها يقابل الغرفة الجنوبية وعرضه 65 سم ولها نافذة صغيرة تطل على الفناء، ما بين الغرفة الجنوبية والمطبخ ذكروا لي أهل الدار أنّه كان يوجد بئر لكنّه قد ردم اليوم، ويوجد رواق صغير محمول على أخشاب وجدران الغرفتين. مادة بناء الدار تظهر من خلال الجدران المتآكلة أنّها مكونة من الحجارة والآجر المستطيل المملوء والملاط من الطين.

أمّا اللوحة رقم (53) فتظهر السلم المؤدي الطابق الأول، وهو يوجد على يمين المدخل الرئيسي، وجواره يوجد قبو ينـــزل إليه بسلم من مجموعة من الدرجات.

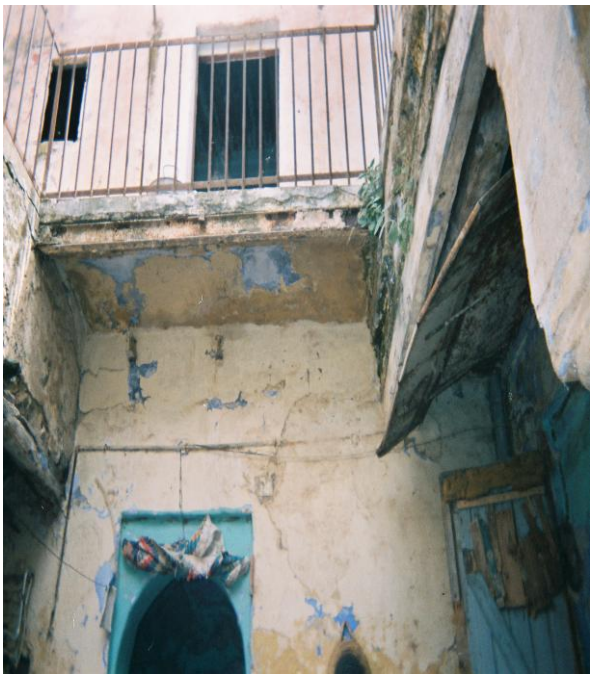

لوحة رقم (54) الغرفة الجنوبية
بالطابق الأول

لوحة رقم (55) الغرفة الغربية
بالطابق الأول

لوحة رقم (56) الجهة الشرقية
بالطابق الأول

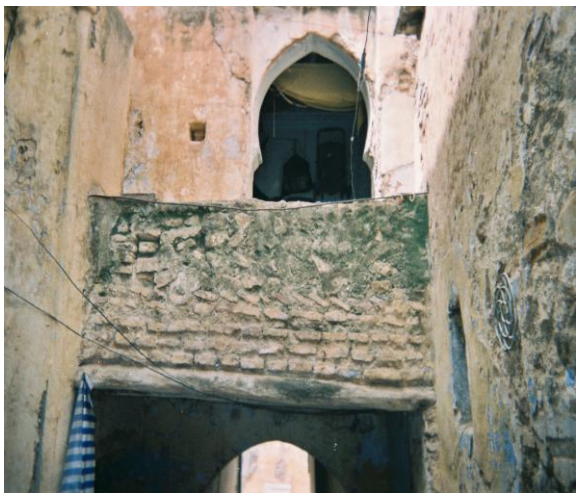

لوحة رقم (57) الغرفة الشمالية
بالطابق الأول

بسبب التصدعات الكثيرة للبناء في الطابق الأول لم أستطع أخذ القياسات للغرف والسطح، لكن ما يظهر من الطابق الأرضي أنه يوجد ثلاث غرف: غرفة في الجهة الشمالية فوق المدخل الرئيسي،

غرفة في الجهة الجنوبية لها باب بدون عقد ونافذة مستطيلة الشكل، غرفة في الجهة الغربية تشبه غرفة الطابق الأرضي في بابها ونافذتها، أمّا في الجهة الشرقية فيوجد رواق بدون غرفة.

الفناء محاط بأربعة أروقة عرضها حوالي 75 سم، الرواق في الجهة الغربية طوله 7.5 م وهو محمول على جدران الغرف وعلى عمود اسطواني الشكل، قاعدته مربعة الشكل ارتفاعها 15 سم، أمّا الأروقة الأخرى فمحمولة على الجدران وعلى قطع خشبية أو حديدية لصغر هذه الأروقة.

تحليل ومقارنة للنماذج المختارة: خصائص المسكن التقليدي بمدينة تلمسان

حاولت في بحثي هذا أن أقف على المسكن التقليدي في مدينة تلمسان خاصة في العصر الوسيط، فاخترت ثلاثة مساكن من مواقع مختلفة: موقع الرحيبة، درب مسوفة، حيّ العباد وأغلب سكنات هذه الأحياء تعود إلى العهد الوسيط، فوجدتها تتشابه كثيرا مع المسكن في المغرب الإسلامي أو المشرق الإسلامي، فالمساكن بمختلف أشكالها تمتاز بطابع التربيع والتكعيب.

فالمساكن المدروسة أهم ما يميّزها:

- **واجهات المساكن:** فواجهاتها تقع في الدروب الضيقة بعيدة عن مواجهة الشوارع الكبرى التي تكثر فيها الحركة والتجارة والمرافق العامة، ولا توجد بها زخارف أو نوافذ إلا باب المدخل الرئيسي أو فتحات صغيرة عالية.
- **المدخل:** في أغلب المساكن التلمسانية التقليدية المدخل منكسر وفي النماذج المدروسة لم نجد إلا حالة دار " بن عمر محبوبي بالعباد " التي لم يوجد بها المدخل المنكسر ولعلّ الدافع إلى المدخل المنكسر كان الحفاظ على الخصوصية وعدم كشف العورات للمارين.
- **الفناء:** وهو العنصر الرئيس في العمارة الإسلامية فهو الجزء المكشوف في وسط الدار وتحيط به الغرف ويكون غالبا مربعا أو مستطيلا، فهو عنصر للتهوية والإضاءة والاتصال وهو مركز الدار تدور حوله جميع النشاطات المترلية، وقد لاحظت ذلك في جميع السكنات المدروسة.
- **الأروقة:** بين الفناء (الصحن) وبقية المرافق الأخرى توجد أروقة تقوم بدور الملطف للحرارة في فصل الصيف والحماية من الأمطار في فصل الشتاء من جهة ومن جهة أخرى بدور الاتصال فيما بين المرافق، بالإضافة إلى إضفاء طابع الجمال على الدار.
- **الغرف:** فتمتاز الغرف المدروسة باستطالتها وبساطتها، وتتركب من باب في وسطها ومكوّن من فلقتينغالبا ونافذتين كبيرتين على جانبيه ما ماعدا في دار " بن عمر محبوبي بالعباد " فنلاحظ في كل غرفة نافذة واحدة، وقد وجدت زخارف جصية جميلة بغرف دار " لاغا بالرحيبة " وهو ما لم نلحظه في السكنات الأخرى.
- **مرافق المساكن:** ما يميز المساكن المدروسة وجود مرافق ذات الصلة الوثيقة بالحياة المعيشية، دون اللجوء إليها خارج البيت كالمطبـــخ والبئر، فـــفي دار " شرّاك بدرب مسوفة "

وجدنا البئر وبه الماء لكنه غير صالح للشرب لأنه غير معالج، أمّا في دار " لاغا بالرحيبة " و" بن عمر محبوبي بالعباد " فذكر لنا سكان هذه الديار أماكن وجود هذه الآبار قديما، والتي اندثرت اليوم.

- **أماكن النظافة:** فوجدت في المساكن المدروسة فراغات صغيرة على الجانب الأيمن أو الأيسر للمدخل الرئيس تستعمل كمراحيض.
- **المخازن:** ففي دار " بن عمر محبوبي " لاحظنا القبو الذي يستعمل للتخزين ولأغراض أخرى كالقيلولة في فصل الصيف لبرودته، أما في دار " لاغا بالرحيبة " فلاحظنا أن المخزن وجد في نهاية السلّم المؤدي إلى السطح، أمّا في " دار شرّاك " فوجدت غرفة في السطح استعملت كمخزن، وكانت تستعمل من قبل كغرفة للراحة في فصل الصيف وكانوا يسمونها "العلية".

وبهذه المقارنة البسيطة نستنتج أن الدافع في تصميم المسكن التقليدي في العصر الوسيط كان الاهتمام بالجانب الفني والجمالي للمسكن بما لاحظناه من زخارف وعقود وقطع خزفية وخاصة في دار " لاغا بالرحيبة " ودار شرّاك بدب مسوفة " وراعى كذلك الجانب الاجتماعي لساكنيه بخصوصيته وتصميم فراغاته.

– **مواد البناء** : ما لاحظته أنّ مادة بناء هذه المساكن من الحجارة والطين ثم طليت الجدران بالإسمنت بعد ذلك، ومعدل سمك الجدران 60 سم، وتعتبر الجدران السميكة كعازل للبرد والحر على اختلاف الفصول.

أمّا سقف الغرف في دار " لاغا بالرحيبة " ودار "بن عمر محبوبي بالعباد " فهو من أخشاب موضوعة على الجدران وفوقها سيقان القصب المتراصة مع بعضها البعض وفوقها مادة الطين لتوفير البرودة في فصل الصيف، ما عدا دار " شراك بدرب مسوفة " فقد وضعت بدل الأخشاب سبائك حديدية.

الخاتمة

خـــــــاتمة

إنّ الإنسان منذ أن وجد على ظهر هذه البسيطة وهو يجتهد في إيجاد مأوى له يقيه من المؤثرات الخارجة، ومن القوى المعادية له، يكون فيه آمنا مستقرا، فهداه تفكيره إلى تكييف مسكنه مع ما يناسب معتقداته الدينية وتقاليده الاجتماعية وظروفه البيئية وذوقه الفني والجمالي.

لذلك يعتبر المسكن التقليدي في العصر الوسيط ضمن التراث الحضاري المعماري والذي يعتبر مبعث فخر للأمة واعتزاز لها، ودليلا على عراقتها وأصالتها، أي أنّه معبّر عن الهوية الوطنية وصلة بين الماضي والحاضر.

فاستعمال الفراغ داخل المدينة والمسكن في ذلك العصر يبيّن مقدار التشابه الكبير في أوجه استغلال الحيز بشكليه المعماري والعمراني في مختلف أقطار العالم الإسلامي سواء في مشرقه أو مغربه، فهذا الاستعمال الفريد ترجم متطلبات الساكن المسلم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والجمالية.

والنماذج المختارة للدراسة كانت محاولة للوقوف على المسكن التقليدي الإسلامي في مدينة تلمسان، فنمط المنزل يخضع إلى المستوى الاجتماعي والمالي للأسرة التلمسانية، ويتحكم في درجة أناقته وحسن بنائه، فالطبقة الميسورة تبني دورها من عدة طوابق وبمواد بناء رفيعة، بينما الأسرة الفقيرة تكتفي بالطابق الأرضي فقط، وبمواد وأدوات تجميل بسيطة.

فالنماذج الثلاثة لا تكتسي أيّ مظهر جمالي من الخارج، وليس لها نوافذ مفتوحة على الشارع ما عدا فتحات صغيرة فوق باب المدخل الرئيس مثل دار "لاغا بالرحيبة " ودار " بن عمر محبوبي بالعباد "، أمّا داخل الدار فقد تشابهت المساكن في عناصرها المعمارية تقريبا.

وفي النهاية نصل إلى دعوة الهيئات الوصية إلى المحافظة على التراث المعماري الذي بدأ بالاندثار نتيجة التطور السريع لمدينة تلمسان، وإلى تقييم المباني الأثرية للحصول على إحصائية مناسبة تمثل المباني ذات الأهمية ويتم من خلالها المحافظة عليها وترميمها وتوظيفها وتأهيلها وجعلها رمزا حضاريا ومعماريا، وترميم عيّنات متنوعة من المباني الأثرية التي تعكس الأحوال الاجتماعية والاقتصادية السائدة آنذاك وتبرز الجانب الجمالي والفني الذي كان موجودا في عصرهم.

وتوعية السكان بأهمية هذه المساكن، وتعريف المواطن عامة والمتمدرسين وطلبة الجامعات خاصة على المباني الأثرية والتراث المعماري الحضاري، وتشجيع الدراسات والأبحاث المتعلقة بالعمارة الإسلامية.

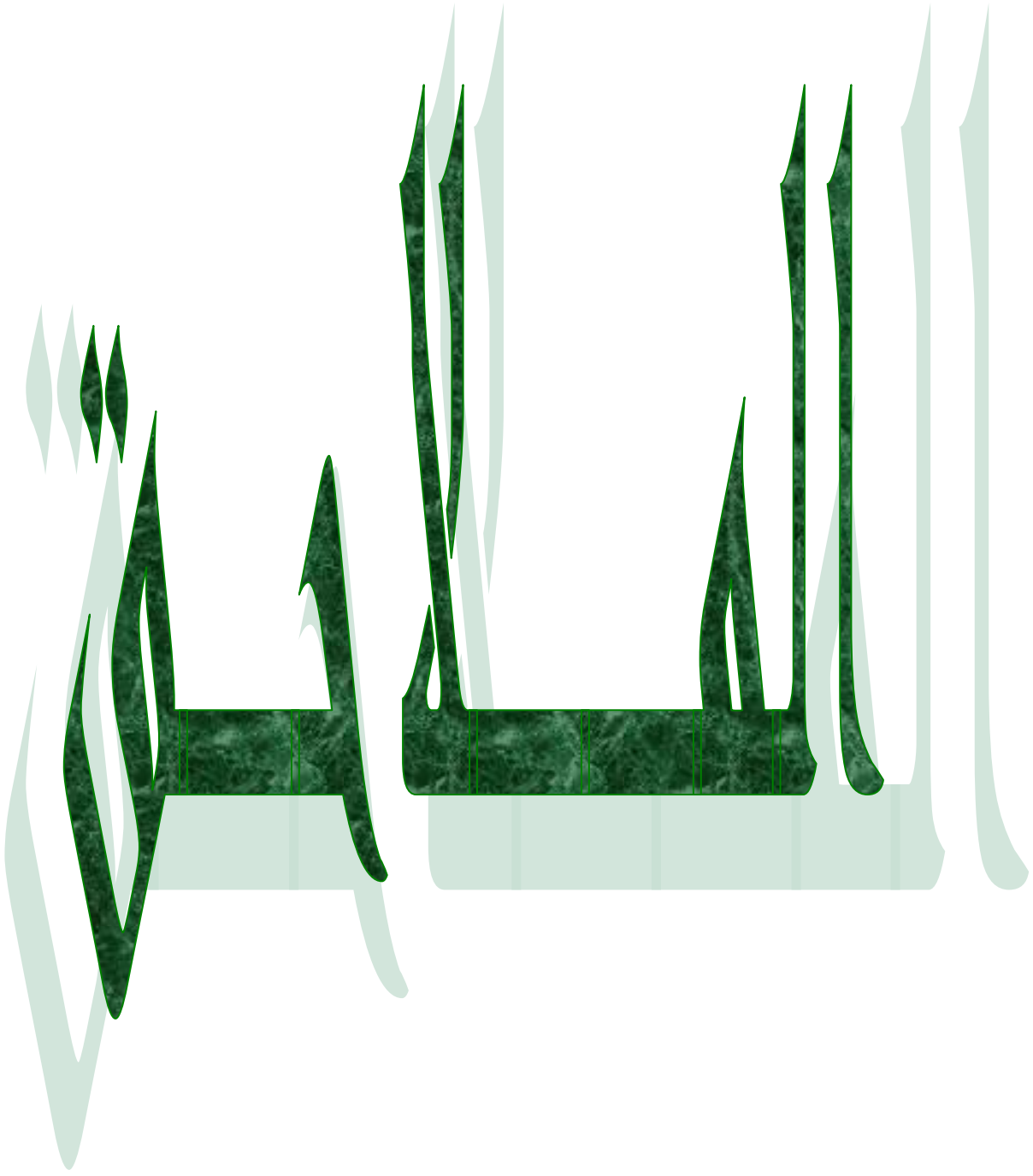
الملاحة

* ملحق اللوحات *

لوحة رقم (1) زخارف وفتحات على الحائط المطل على الفناء بدار لاغا

لوحة رقم (2) تظهر(1929) سنة ترميم باب المدخل الرئيس في العهد الإستعماري بدار شرآك بدرب مسوفة

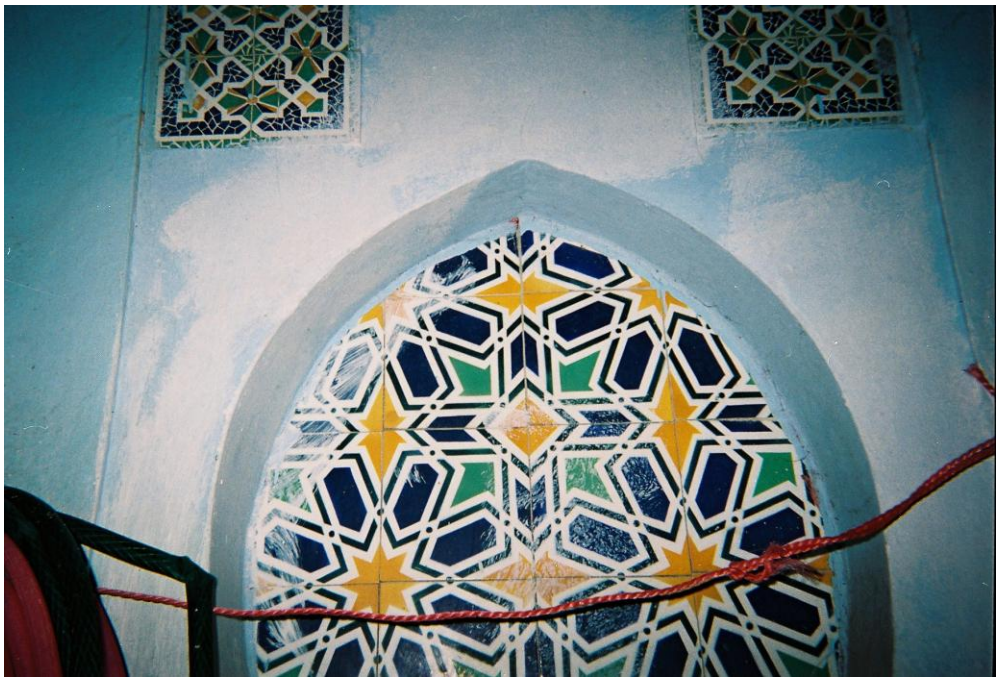

لوحة رقم (3) القطع الخزفية المزينة لدار شرآك بدرب مسوفة

لوحة رقم (4) مدخل درب مسوفة ويظهر العقد المزين لمدخل الدرب

لوحة رقم (5) منظر لمساكن مهملة بجوار دار شراك بدرب مسوفة

لوحة رقم (6) منظر لمساكن مهملة بجوار دار شراك بدرب مسوفة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أ المصادر:

* القرآن الكريم.

1. ابن منظور الأفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مركرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنش،ج 7، سنة 2000 .

2. ابن عبد الحكم ، فتح افريقية والأندلس ، الجزائر.

3. ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة:ج . س . كولان و إ . ليفي بروقسال ، ج (2) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، ط2 ، 1981.

4. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ط 2 ، .1982

5. أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مطبعة مصر،1302هـ.

6. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي،
سنة 1972 ، بيروت.

7. يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائر، 1498هـ.

8. عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج(6)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، سنة 1997.

ب- المراجع:

* المراجع العربية:

1. إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، سنة 1992.

2. أحمد بوساحة، أصول أقدم اللّغات في أسماء أماكن الجزائر، ج1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، .2002

3. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، ترجمة فريد م وآخرون، منشورات عويدات ، بيروت – باريس .

4. إسماعيل عبد الرحمن النور، مجتمعات الاشتراكية الطبيعية، أورينتال للنشر والطباعة والتوزيع، مدريد، ط1، سنة 1983.

5. اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، .1984

6. جورج مارسي، تلمسان – مدن الفن الشهيرة – ترجمة سعيد دحماني، Edition du Tell

7. ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة : سيد غازي، دار المعارف بمصر، ط1، 1971.

8. محمد رياض، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، سنة .1974

9. محمد محفل، تاريخ العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1991.
10. محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1995.
11. محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1 ، 1998.
12. محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط1، 2002.
13. محمد عبد الستار عثمان، عمارة السدوس التقليدية – دراسة أثرية معمارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، سنة 1999.
14. مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط(2)، سنة 1987.
15. سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1986.

16. عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
17. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985.
18. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج(1)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط (2)، سنة 2002.
19. عبد العزيز محمود لعرج، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط1 ، سنة 1990.
20. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج(1)، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، ط(2) ، 1965.

21. عبد الحميد حاجيلت، أبو حمو موسى الثاني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط(2)، سنة 1982.
22. عفيف بهنسي، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر، دمشق، سنة 1983.
23. رابح بونار، المغرب العربي (تاريخه وثقافته)، الشركة الوطنية للنش والتوزيع، الجزائر، ط(2)، سنة 1981 م.
24. روبير أوزيل، فن تخطيط المدن، ترجمة : بهيج شعبان، دار المنشورات عويدات، لبنان.
25. رئيف مهنا وويس بحر، نظريات العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ط1 ، سنة 1992.
26. شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس ، سنة 1978.

* المراجع الأجنبية:

1. **A. LEZINE** , « Algérie médiévale » , Les cahiers de Tunisie (revue de sciences humaines) Tome 7 (1957).
2. . Atallah dhina , le royaume Abdelouadid à l'époque d'abou hammou moussa (1) et d'abou tachfine (1) , opu, Alger , 1985.
3. Georges Marçais , Mélanges d'histoire et d'archéologie de - l'occident musulman , tome 1, Imprimerie officiele du Gouvernement général de l'Algérie , Alger , 1957
4. Groupe de recherches et d'études sur le Proche-Orient, (Jacques Revault), l'habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la méditerranée (l'héritage architectural : formes et fonctions), publication de l'institut français d'archéologie orientale , le Caire, 1988.
5. R. P.Théry , Tlemcen (évocation sur son passé) Tlemcen , 1945.
6. Yves Korbendau , L'architecture sacrée de l'Islam , ACR édition internationale , courbevoie (Paris) , 1997.

* المجلات العربية والأجنبية:

1. ابن صفية ، " حفظ وحماية وتسيير المعالم التاريخية والأثرية في مدينة تلمسان " ، مجلة تلمسان ، عدد (2) ، (من 2 إلى 5 أفريل) ، 1988.

2. حمزة المعموري ، " الفناء الداخلي في العمارة الإسلامية " ، مجلة العربي تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت ، العدد 503 ، أكتوبر 2000 .

3. حميد عزوز (مدير الهيئة الوطنية لمراقبة تقنية البناء) ، تسيير وصيانة العقار، حصة تلفزيونية (في الصميم) ، بتاريخ : 06/10 /2008.

4. مصطفى نبيل ، المهندس حسن فتحي (رجل يملك عقله) ، مجلة العربي ، العدد (295) ، يونيو 1983.

5. محمد علي اليوسفي ، العناية بالتراث الحضاري والآثاري ، المجلة العربية للثقافة، العدد (29) ، سنة 1995.

6. علي حملاوي ، آثار الدولة الرستمية بالجزائر (مدينة سدراته الأثرية) ، مجلة العربي تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 517، ديسمبر 2001.

7. علاء الدين لولح ، " الملامح المشتركة للتراث العمراني العربي الإسلامي " ، ملخصات أبحاث : مؤتمر الحفاظ على التراث الحضاري المعماري الإسلامي في المدن ، اسطنبول – تركيا – ، أبريل 1985.

8. – Rapport final (Plan d’occupation du sol – Medina de Tlemcen -) , Agence nationale d’aménagement du territoire (ANAT), Mars 2001.

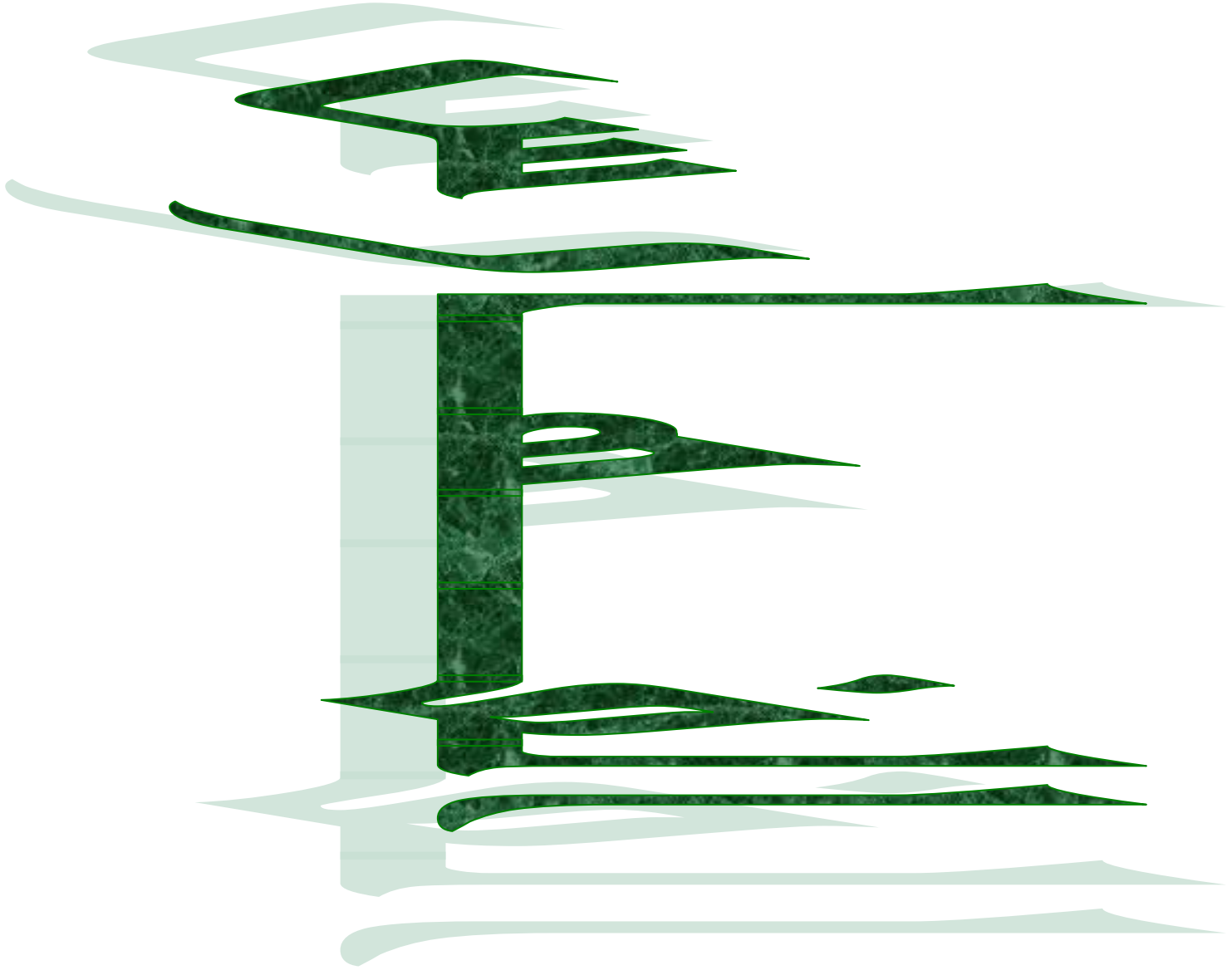

فهرس المخططات

رقم المخطط	عنوان المخطط	الصفحة
01	موقع مدينة تلمسان على خارطة الجزائر	50
02	مخطط لمدينة تلمسان	55
03	مخطط لموقع دار لاغا بالرحيبة	67
04	مخطط الطابق الأرضي لدار لاغا	68
05	مخطط سطح دار لاغا	68
06	مخطط لموقع دار شراك بدرب مسوفة	85
07	مخطط لموقع دار محبوبي بحيّ العباد	100

فهرس الموضوعات

الموضوع:	الصفحات:
مقدمة	أ – ج
الفصل التمهيدي: المسكن ودوره في حياة المجتمعات.	
1. مفهوم السكن.	1 – 2
2. الأنماط الرئيسية لأشكال المسكن.	3 – 7
3. دور المسكن في حياة المجتمعات.	8 – 9
الفصل الأول: المسكن في العمارة الإسلامية.	
1. العمارة في الحضارة الإسلامية.	10 – 12
2. المسكن في العمارة الإسلامية.	13 – 14
3. مميزات المسكن في الحضارة الإسلامية	15 – 23
3. المسكن في المشرق الإسلامي.	
– المسكن التقليدي في قرية السدوس.	24 – 36
– المسكن التقليدي في صنعاء.	37 – 40
الفصل الثاني: المسكن في المغرب الإسلامي.	
– المسكن التقليدي بتونس.	41 – 43
– المسكن التقليدي بالمغرب.	44 – 46
– المسكن في مدينة تلمسان.	47 – 49
الفصل الثالث: دراسة وصفية للنماذج المختارة.	
1. الإطار الجغرافي.	50 – 53
2. الإطار التاريخي.	54 – 66
3. وصف النماذج المختارة:	
1.3. دار لاغا عبد الحميد بالرحيبة.	67 – 84
2.3. دار شراك رشيدة بدرب مسوفة.	85 – 99

3.3. دار بن عمر محبوبي بالعباد. 100 – 105
* تحليل ومقارنة للنماذج المختارة. 107 - 108
* خاتمة. 109 – 110
* الملاحق . 111 - 113
* المصادر والمراجع. 114 - 119

ملخص:
إنّ المسكن التقليدي في مدينة تلمسان يعتبر عنصر من عناصر العمارة الإسلامية، ويمثل إرثا تاريخيا للمنطقة التراثية، ويتداخل في تصميمه الجانب التشكيلي والجمالي من عقود وزخارف تزينية، فالمعماري المسلم اهتم بمعالجة الإضاءة والصوت بتصميمه المداخل والفراغات بما يتوافق وقيّم المجتمع وتقاليده والحفاظ على حقوق الجيران.

الكلمات المفتاحية: العمارة – الفناء – المدخل المنكسر – العقود – الزخرفة النباتية – الرواق.

Résumé :
L'habitation traditionnelle dans la Medina de Tlemcen est l'un des traits de la structure architectural islamique. C'est un héritage historique pour la cité traditionnelle. Cette habitation est caractérisée par les deux côtés structural et artistique avec ces arcs et sculptures. L'Architect musulman a résolu le problème d'éclairage et de son en donnant de l'importance aux entrées et aux autres espaces, prenant en considération les principes, coutumes et traditions de la société tout en protégeant et respectant les droits du voisin.

Les mots clés : Architecture – Arrière-cour – Entrée-réfracteur – Arcs –Décoration florale – Corridor.

Abstract :
The traditionel shelter in the city of Tlemcen is considered as a part or a fact of the Islamic structure. Beside, it is a historical héritage for the archeological area. It is charecterised by it's structural and artistic design with it's arches and sculptures. The Muslim architect had given importance to the neighbour-hood relation- ship by designing special entraces and court-yards, taking into account the society's customs, traditions and ethics.

Key words : Architecture – Court-yard – Refractor-entrance – Arches – Floral décoration – Corridor.